# مراجعات

ملحــق شهــري تصـدره وزارة الأوقــاف والشــؤون الدينيــة

ربيع الآخر 1443 هـ - نوفمبر 2021


## الصفحة الأولى...


هلال الحجري


من القصائد المميزة التي تتصل بالعرب وبلادهم، قصيدة بعنوان «ساعة رملية من صحراء العرب» للشاعر الأمريكي هنري وادزورث لونجفيلو Henry Wadsworth Longfellow (1807-1882). وهو من أكثر الشعراء الأمريكيين شهرة في القرن التاسع عشر؛ وكان أحد الكتاب الأمريكيين القلائل الذين كُرّموا في «ركن الشعراء» في وستمنستر آبي في لندن، وله تمثال نصفي هناك رُكّب عام 1884.

عنوان قصيدته في الأصل « Sand of the Desert in an Hour Glass » وهي تتمحور حول تأمله لساعة رملية في منزله، وكان قد فرغ من كتابتها مساء يوم ٢١ يناير عام 1848، ونشرها في ديوانه « The Seaside and the Fireside» عام 1850. فكرة القصيدة فلسفية عميقة، استطاع لونجفيلو من خلالها أن يحرر الرمل المحبوس في آنية من الزجاج ليستنطقه تاريخيا ويسقط عليه رؤيته لبعض الأحداث المهمة التي جرت في الصحاري العربية. ولذلك، آثرت ترجمة العنوان إلى «ساعة رملية من صحراء العرب» وهي ترجمة غير حرفية دون شك.

(ساعة رملية من صحراء العرب)

حَفْنَةٌ رَمْلِيَّةٌ كالذَّهَب ** مُنْتقاةٌ مِنْ صَحَارَى العَرَب
أصبحتْ جاسوسةً في ساعة** تُمْعِنُ الفِكْرَ طِوالَ الحِقَب
كم قرونٍ لاهثاتٍ عَبَرَتْ ** ذلك القَفْرَ بِرُوحٍ مُتْعَب!
كم رأتْ من عادياتِ الدَّهْرِ أو** مِنْ صُروفٍ حَمَلَتْ بالعَجَب
رُبّما داستْ عليها مَرَّةً ** نُوقُ إسماعيلَ شيخِ العَرَب
حينما جاءتْ به مِصْرَ فَتًى ** أفضلَ الأبناءِ مِنْ خيرِ أب
رُبّما موسى ذَرَاها حافيًا ** حين وَلّى خائفًا ذاكَ النبي
أو تلاشتْ كغُبارٍ حينما ** مَرَّ فِرْعونُ بجيشٍ لَجِب
أو عسى مَرْيمُ حين ارتحلتْ ** بيسوعَ الناصريِّ الطيِّب
فإذا الإيمانُ والحُبُّ معا ** قد أضاءا في صحارى «النَّقَب»
أو إذا الرُّهبانُ في «عَيْنِ الجَدِيْ» ** عند «بَحْرِ الموت» والنَّخْلِ الأبي
رَقَصَ الشاطئُ من ألحانهم ** مِنْ زَبُورٍ أَزْمَنِيٍّ مُطْرِب
واسْألِ البَصْرةَ عن قافلةٍ ** غادرتْها باتجاه المَغْرِب
وحَجيجًا قطعوا البيدَ إلى** مَكّةَ عَطْشى بشَوْقِ الغَيْبَ
كُلُّهُمْ قد عَبَروا، أو رُبّما ** هذه الرَّمْلةَ في بُرْجِ سَبي!
وهُمُ الآنَ أسارى ساعة ** تَحْسُبُ العُمْرَ الذي لم يَغِب
وأنا حين أرى يَنْتابُني ** حُلُمٌ يَمْتَدُّ خَلْفَ الحُجُب
وأرى بِيدًا ترامى رَمْلُها ** وسماءً غُرِّيَتْ مِنْ سُحُب
وأرى فيها شُعاعًا عاليا ** يحتويه عاصفٌ كاللَّهَب
يتعالى في عَمودٍ هائلٍ ** مشهدٌ أفْظِعْ به مِنْ مُرْعِب
جَلّلَ السَّهْلَ فلا حَدَّ له ** وغَشَى الشَّمْسَ التي لم تَغْرُب
هكذا امْتَدّ ظلالًا طَوَحَتْ ** بخَيالي في مَرامي العَطَب
وتلاشى الطَّيْفُ؛ فالأسوارُ ما ** فَتِئَتْ تنطقُ: يا شَمْسُ اخْتبي!
وانْقَبِضْ يا سَهْلُ مِنْ بَرْدٍ، ويا ** ساعةَ الرَّمْلِ على الوَقْتِ اسْكُبي!


hilalalhajri@hotmail.com

الأخلاقيات الفكرية...
روجي بويفي

بين يدي الله...
ماركو فينتورا

عالم بدون جوع...
أنطوان برنار دو ريمون
ودلفين ثيفي

الانفتاح: قصة التقدّم الإنساني
جون نوربيرغ

الإقطاعية الجديدة
ألكسندر ليجافا

الدراسات الاقتصادية...
فلاديمير أندريف

إمبراطورية التعهيد...
أندرو فيليبس
وجي سي شارمان

خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي...
بول تيج

من الممكن الوصول إلى عالم أكثر عدلا
رجب طيب أردوغان

إنسانية محمد، وجهة نظر مسيحية
كرايغ كونسيدين

## إصــدارات عــالميــة جـديـدة

# الأخلاقيات الفكرية: علم معرفة الفضائل

## روجي بويفي

محمد الشيخ *

**وكأنه نبي ضيعة قومه، يتقدم الفيلسوف الفرنسي المعاصر روجي بويفي (١٩٥٨- ) ـ المتخصص في علم معرفة الاعتقاد وفي فلسفة الجماليات، والمنتمي إلى التقليد الأنجلوسكسوني في عقر دار التقليد القاري تبكيتا على قومه وتغريدا خارج السرب ـ يتقدم عاري القدمين لكي يتهم الحياة الفكرية الفرنسية ـ من الناحية الأخلاقية ـ بتهمتين ثقيلتين: الافتراء والهراء. وكأنه الحكيم الإغريقي أفلاطون بين قوم من السوفسطائيين، يمشي روجي بويفي حافي القدمين ضد من يُسميهم باسم «سوفسطائيي اليوم» من المفترين والهرائيين.**

ينضوي هذا الكتاب بين دفتيه على نقد مر لاذع للحياة الفكرية الفرنسية، وعلى نبز شديد للمثقفين الفرنسيين الذي يعيب عليهم المؤلف «افتراءاتهم» و«هراءاتهم» بعد أن حوّلوا هم «الحق» إلى مجرد «بناء اجتماعي يبنى» باسم التفكيك. في غمز ضد دريدا وأتباعه من أهل ما بعد الحداثة. «بناء» يتأدى إلى «عدمية جذرية» لا تؤمن بالحق، بل تؤكد أن الحق محض وهم. في تلميح إلى أنصار نيتشه مما بعد الحداثيين. معلناً عن نشوء فكر ينعدم فيه الخُلُق.

كان قد حكى ابن حزم الأندلسي ذات مرة حكاية، فقال: «ناظرتُ رجلا من أصحابنا في مسألة؛ فعلوته فيها لبكوء كان في لسانه، وانفصل المجلس على أني ظاهر، فلما أتيت منزلي حاك في نفسي منها شيء، فتطلبتها في بعض الكتب، فوجدت برهاناً صحيحاً يبين بطلان قولي وصحة قول خصمي، وكان معي أحد أصحابنا ممن شهد ذلك المجلس؛ فعرّفته بذلك، ثم رآني قد علّمت على المكان من الكتاب، فقال لي: ما تُريد؟ فقلت: أريد حمل هذا الكتاب وعرضه على فلان، وإعلامه بأنّه المحق، وأني كنت المبطل، وأني راجع إلى قوله. فهجم عليه من ذلك أمر مبهت، وقال لي: وتسمح نفسك بهذا؟! فقلت له: نعم، ولو أمكنني ذلك في وقتي هذا لما أخّرته إلى غد». تُرى، ما الذي حرّك ابن حزم إلى الاعتراف بخطيئته وقد انتصر على خصمه باللجوء إلى آليات المناظرة؟ والجواب: حَرَكَهُ إلى ذلك طلب الفضيلة المعرفية. وهذه الفضيلة المعرفية هي ما عاد بويفي لينبه إليه في كتابه هذا الذي بين أيدينا. والكتاب، برمته، يدور على فكرة أساس: إظهار أن الحياة الفكرية ما كانت مجرد مسألة معايير (قواعد منهجية وآليات حجاجية)، وإنما هي قضية قيم (محبة معرفة، وفاء للحقيقة، شغف بالإنصاف). ومن تم ما كان العلم الذي يتولى تقويم المعرفة. وهو المعروف باسم: الإبستمولوجيا. بمعرفة تقنية وصنعية بالبحث في مدى تسويغنا لما نعتقد أنه الحق، وإنما حقيقة الإبستمولوجيا أنها مبحث أخلاقي (آدابي) خاص بتقويم الحياة الفكرية التي تُحيى في الأوساط العلمية والأكاديمية والجامعية ... وهو مبحث أخلاقي يتعلق بالفضائل وضديدته الرذائل لا في مجال الأفعال والسلوكات، وإنما بالأساس في مجال الاعتقادات والمعارف. إذ المهم في الحياة الفكرية هو من نحن وليس ما الذي نفعله: أنحن أناس فضلاء معرفيا أم لا؟ وما كان هو ذاك الكم الهائل من «الحُجَج» ومن «الشُّبَه» التي نحشدها للدفاع عن افتراء معرفي أو هراء نعلم في قرارة أنفسنا أنه كذلك. إنما الفضائل الفكرية والخلقية هي طرق كينونة شخص معين بحسبانه كائنا عاقلا. وما كانت الحياة الفكرية «طَيِّبَةً» اللهم إلا بانجذابنا إلى «الخيرات المعرفية». الحق، المعرفة، العاقلية. وذلك بمعنى أن الأصل في الباحث أن يكون مشغوفا عاشق محبا ولهاً متعلقا بما يملك أكبر قيمة: الحق.

عمليا، يعتبر المؤلف أن الحياة الفكرية الفرنسية. وما كانت وحدها ولا ينبغي لها أن تكون. باتت صيدا سهلا ونُهْزَة مستسهلة لرذيلتين معرفيتين خلقيتين. الافتراء والهراء. أمسيتا تَصمان المثقف والأستاذ والصحافي والكاتب ومنشط برامج الإذاعة والتلفزة والناقد الفني والمعلق والقس والواعظ، لكنها أيضا باتت توجد لدى العالم أكان من علماء العلوم الطبيعية أم من علماء العلوم الإنسانية والاجتماعية. فكل هؤلاء، في نظر المؤلف، الذين يتعيشون بالفكر والخطاب ونقل المعتقدات والمعارف صاروا عُرْضَةً لفساد في الفكر، بدي أم خفي، لازم لهم ومتعد إلى غيرهم. إذ ما بقي انعدام الخلق يخص الحياة العملية وحدها، بل بات منتشرا في الحياة النظرية الفكرية.

وهكذا، ينطلق المؤلف من واقع الحال. وهو عالم الأفكار التي نتلقاها على مدار اليوم: ما نلتقطه من الجرائد، ما نسمعه أو نشاهده في برامج الإذاعة والتلفزة، ما نطلع عليه في مواقع الإنترنت، وما نتعلمه في الجامعة بمجلاتها وندواتها ومحاضراتها وتكويناتها. تُرى، هل تحضر في كل هذا قيم فكرية تَنُمُّ عن الإنسان العاقل؟ هل نحن فضلاء في معارفنا من الناحية الخلقية؟ وهل نرغب حقا في أن نكون كذلك؟ تلك هي القضية. لكن، دعنا نتساءل بداية: وماذا لو كان نظامنا التربوي يساعد، بالضد، على الخطابة الفارغة والقناعة استناداً إلى المعرفة الباطلة والألاعيب الفكرية والرذائل المعرفية؛ بما يشي عن احتقار الفضائل المعرفية، وذلك بتصيير الافتراء والهراء مؤسسة قائمة الأركان؟ أَوَ ليس دور التربية تثقيف النشء بالقيم الخلقية الضرورية للحياة الفكرية، لدى الأساتذة والطلاب والتلامذة سواء بسواء؛ وذلك بألا تصير هي مجرد «ترويض» و«استيلاف» و«سوس» لبهائم عالمة حسب قواعد اجتماعية معينة؟

### معنى الأخلاق وإشكالية الكتاب

يعرّف روجي بويفي «الأخلاق» Ethics على أنها ما تعلّق بما نأتيه . أي بأفعالنا . إذ شأن الأفعال أن تقوَّم بالقول: هذا فعل محمود، وذاك فعل مذموم. على أنه في هذا الكتاب لا يتعلق الأمر بالأفعال وإنما بالاعتقادات. وتتعلق الأخلاق هنا بالنظر في اعتقاداتنا: تُرى، هل يمكن أن تكون هي اعتقادات حسنة أم اعتقادات قبيحة؟ ومعنى «الاعتقاد» عنده التصديق. ولا يتعلق «الاعتقاد» بمعناه الديني الضيق . شأن قولنا: «الله موجود» . وإنما بمعناه الواسع . نظير قولنا: «باريس عاصمة فرنسا». ويكمن إشكال الكتاب في التساؤل التالي: لَئِنْ كنا ندين بعض الأفعال . القتل، الاغتصاب، السرقة . على أنها مذمومة غير محمودة، فهل يمكن أن ندين بعض الاعتقادات الباطلة على أنها حسنة أو قبيحة؟ بمعنى آخر: هل الخطأ المعرفي المتعمد خطيئة؟ وهل الافتراء والهراء على نحو ما يرتكبه بعض الأكاديميين في أبحاثهم ومنشوراتهم ذنب؟ وحين نقول: فلان مُحِقٌّ في اعتقاده أو مُبْطِلٌ، فهل هذا حكم معرفي وحسب أم أنه إدانة أخلاقية أيضا؟ وهل تملك حياتنا الفكرية قيمة خلقية أم أن لا قيمة لها إلا القيمة المعرفية؟ ثمة مسألة الحق في الاعتقاد، وثمة مسألة قيمة الاعتقاد. لكن أليست قيمة الاعتقاد مسألة خلقية؟ وهل نحن طيبون أو سيئون أخلاقيا بالقياس إلى أن لنا دواع حسنة أو قبيحة لاعتقاد اعتقاد معين؟ أَوَ ليس «الافتراء المعرفي» «خطيئة» بالمعنى الخلقي؟ وأليس «الهراء المعرفي» «ذنبا»؟ ألا يدل الافتراء والهراء المعرفيان على أن انعدام الأخلاق لا يتعلق فقط بالأفعال والسلوكات، وإنما يسري أيضًا على المواقف الفكرية وطرق النظر؛ بما يشي أن للإبستمولوجيا . علم المعرفة . منحى أخلاقيا؟

### معنى إبستمولوجيا الفضائل

يتساءل بويفي عن معنى «الإبستمولوجيا» . فلسفة المعرفة أو علم المعرفة . ويقدم الجواب عن هذا التساؤل سلبا وإيجابا. على جهة السلب؛ يستبعد تصورا رائجا للإبستمولوجيا باعتبارها «صنعة» شأنها النظر في التسويغ المعرفي للاعتقادات. وهو ينتقد التصور الأنجلوسكسوني الذي ضيّق واسعا حين حصر الإبستمولوجيا في الجانب المعرفي التقني الضيق، وحرمها من جانب التقويم الأخلاقي. وعلى جهة الإيجاب؛ يقترح تصورا «أنطلوجيا» . متعلقا بالوجود . للإبستمولوجيا؛ إذ يرى أنه

ما كان شأن هذا المبحث أن ينظر فقط في تعليل الاعتقادات، وإنما الشأن فيه أن يطرح سؤال معنى الحياة الفكرية الطيبة: كيف يمكن أن نحيا حياة فكرية كريمة؟ أكثر من هذا؛ شأن الإبستمولوجيا أن تطرح السؤال: أتُراه من يكون الإنسان؟ ودعوى المؤلف بهذا الشأن أنه لَئِنْ نحن سلمنا أن الإنسان كائن «عاقل»، فإن سمة «العاقلية» هذه ما كان لها بُعْدٌ صنعي فحسب . تَوَخِّي الانضباط إلى قواعد المعرفة وتَوَقِّي خرقها . بقدر ما تكمن، بالأحرى والأولى والأجدر، في بُعْدها الفضائلي: ممارسة الفضائل المعرفية؛ شأن محبة الحق والشغف به والشجاعة الفكرية المطلوبة في المواقف القصية (قدوته في هذا استشهاد القديسة الفرنسية جان دارك دفاعا عن الحق ووفاء له). وما يسميه «إبستمولوجيا الفضائل» لا يتعلق بالاستعمال الناجع لملكاتنا المعرفية والفكرية، وإنما بالتزام الفضائل. وما كانت «إبستمولوجيا الفضائل» هذه التي يدعو إليها سعيا إلى تحقيق المعايير . بمعنى المبادئ والقواعد بمعناها الصنعي . التي تحكم عمليات الفكر المشروعة، لا ولا كانت هي وصف الطرائق الموثوقة التي تقود إلى نجاحات معرفية مبهرة. وإنما تتعلق هي بغاية حياتنا الفكرية بحسبانها اكتمالا لا انفصام فيه بين الشأن الفكري والأمر الخلقي. إذ تفكر هي في حياتنا الفكرية بوسمها مصيرا بشريا طيبا . ومن هنا أوبته الدائمة إلى أرسطوطاليس وإلى القديس توما الأكويني. من شأن المفتري والهَذر ألا يفعل من أمر اللهم إلا أن يمكر بالمعايير الخلقية وأن يهزأ بها، فيخدع بذلك العالم، تماما مثلما يفعل أي كذاب. وذلك بحيث يسيء هو إلى نفسه ومستمعيه وقرائه وطلبته وتلامذته. ومن تم، يزري، في موقفه هذا، بالطبيعة البشرية. ذلك أن مدار الطبيعة البشرية على الخصائص التالية: ما يميز الإنسان إنما هو العاقلية، ومن شأن ممارسة الفضائل أن تحقق طبيعتنا هذه، ومن طبيعتنا أيضا السعي إلى تحصيل السعادة، والفضائل أمر يسعدنا، ودرك الأشياء على حقيقتها . بوصفه فضيلة . هو ما يجعلنا أسعد؛ لأنه مطلوب لذاته بصرف النظر عن كل غائية. وما كانت الحكمة سوى هذا ليس إلا.

قد يكون صاحب الافتراء ومولى الهراء . ناشر الشعوذة وبائع الهذيان . من الناحية الفكرية حَذِقا ألمعيا فتّانا . وإلا لما انتبهنا إلى ما يختلقه ويرويه. وفي بعض الأحايين قد يكون إنسانا كفءا؛ بحيث يحترم العديد من المبادئ المعرفية؛ فلا يأتي كلامه متهافتا ينقض بعضه بعضا أنكاثا، ويكون كلامه مدللا عليه، وحجاجه بيّنا ... وقد يكون امرءا يحذق الجدل، ويحسن أن يورد الحجج ... فهو بهذا المعنى إنسان «عاقل»؛ بل و«عقلاني» بالمعنى الصنعي التقني الدائر على احترام قواعد المنطق ومطالب الحجاج ... لكنه في حقيقته امرؤ حُرِم الفضائل التي يقتضيها العقل السليم؛ أي ما يسميه المؤلف باسم «الخيرات المعرفية». فلا يتوفر على هذه الخيرات لكي يُعملها لغاية: المعرفة والحقيقة.

وهنا يورد المؤلف . الذي بالنظر إلى خلفيته الدينية عادة ما يلجأ إلى عبارات دينية مُدَنْوَنَة . ما يسميه «اليوم الآخر المعرفي»: في عشية حياة الإنسان يخلد هذا إلى نفسه ملقيا الضوء على سحابة حياته وقد قربت أن تنجلي ويقوّم حياته الفكرية .

وقد رسمت هذه الحياة، حسب عبارة هيجل البديعة، «رماديا على رمادي»، في إشارة إلى الذبول . في ماذا أمضاها يا ترى؟ آنها تنجلي لكل ذي ضمير، حتى وإن هو استيقظ هذا الضمير في مساء حياته، الضلالات والأوهام والأغلاط والاختزالات وأنحاء عدم المسؤولية، بل والافتراءات والهراءات التي أتاها طيلة حياته. هكذا تُقَوَّم القيمة المعرفية لحياتنا الفكرية في نهاية المطاف. فعندما يرخي ليل الحياة سدوله، في الخاتمة، تُقَوَّم حياتنا المعرفية على قَدِّ توجهها نحو «الخيرات المعرفية». وليس يكفي هنا بأن نكون قد راعينا في إنجازاتنا المعرفية القواعد والقوانين والتقنيات الإجرائية المعرفية. إنما فيصل التفرقة بين أخلاقي المعرفة ولا أخلاقيها هو مدى التوق إلى «الخيرات المعرفية»: تُرى، أكنا فضلاء أم كنا رذلاء؟

دعوى الكتاب الرئيسة

أمام هول موجة «الافتراء» و«الهراء» المعرفيين التي اجتاحت حياتنا الفكرية وأفسدتها أيما إفساد، بات معيار «العاقلية» لا يكفي للتقويم، وإنما يحتاج الأمر إلى موقف أخلاقي صارم. وأمست المسألة الإبستمولوجية . المعرفية . الأساس تكمن في معرفة كيف يمكن أن ننفلت من «الفساد الفكري» السائد . المتمثل في الافتراء والهراء . الذي يتبين أنه بالأساس «فساد خلقي». وقد بات صاحبا الافتراء والهراء . الإنسان المفتري والإنسان الهُرَاء . أشبه شيء يكونا بسوفسطائيي الأمس: أناس غير أخلاقيون من جهة الاعتبار المعرفية. ومن هنا الحاجة إلى «أخلاقية معرفية» تقوم على ثلاثة دعاوى:

أولا؛ الأخلاقية الفكرية أمر ممكن، بل مطلوب في هذا الزمان. وهي أخلاقية معيارية: تقول ما هو «خير» وما هو «شر» في حياتنا الفكرية. وما كانت هي مجرد وصف محايد لهذه الحياة، وإنما دعوى حول ما ينبغي أن يكون.

ثانيا؛ يتنزل مفهوم «الفضيلة»، في هذه الأخلاقية، منزلة الأساس. ويتأسس على ما يدعوه بويفي: «أنتربولوجيا ميتافيزيقية»؛ أي على فلسفة في الإنسان. فالأخلاقية الفكرية إنما هي تفكير في ما يجعل البشر أفضل من حيث هم كائنات، بالأساس، عاقلة، وفي ما يمكنهم أن يزدهروا به بوسمهم كائنات عاقلة.

ثالثا؛ يضم المؤلف إلى دعواه ضميمة لاهوتية: فكرة «نِعَم الروح القدس». إذ بالنسبة إليه وسائل المعارف عطايا من الرب. والله ضامن أننا على السبيل السوي معرفيا. إذ من دون مدد رباني لا يمكن أن نأمل في حياة فكرية طيبة. وما الحياة الطيبة سوى العيش وفق الفضائل المعرفية أو الفكرية (عدم التحيز، اليقظة، التواضع، الشجاعة، الدقة، التوازن ...)، وما الحياة غير الطيبة سوى العيش وفق الرذائل المعرفية (اللامبالاة، ضيق العطن، الادعاء، الجبن، التشتت، الهوس ...). وليس يكفي الحجاج والصرامة والجدية والدقة، إذ الشر ملابس لنا، شأنه شأن الخطيئة الأصلية، ولا خلاص لنا منه إلا بمدد رباني ...

خاتمة

يتساءل المؤلف في خاتمة كتابه: تُرى ما الذي شجع على انتشار الافتراء والهراء في الأوساط الأكاديمية؛ لا سيما في مجال الإنسانيات والاجتماعيات؟ ويجيب بكل بساطة: وسائل الاتصال ووسائطه. إذ أمسى المفكرون يهرولون إلى إعمال هذه الوسائل والوسائط لتقويم أعمالهم بدل أن تعرض على الأكاديميين والجامعيين. وصار معيار التقويم هو الظهور الإعلامي طلبا للجاه. وهنا تكمن المفارقة: بات يُعَدُّ المفكر مفكرا بقدر ما يعترف به أولئك الذين لا مقدرة لهم على تقويم وجاهة فكرة. وبهذا، تَبَدَّى الجاه وتوارت الوجاهة.

وبوفق بلاغة تمتح من التراث الديني، يؤكد المؤلف أننا . نحن معشر البشر . إنما نُذِرْنا إلى تحصيل «الخيرات المعرفية»؛ ومن تم إلى الصدع بالحق. ولَئِنْ نحن بتنا، في الكثير من الأحايين، «رذلين»، فإن بمكنتنا أن نمسي «فاضلين»؛ وبالتالي أن نستحق «الخيرات المعرفية». فنحن منذورون إليها بسبب ما يسميه المؤلف «طبيعتنا العاقلة». ومن هنا يرى أن الافتراء والهراء . اللذين ملآ العالم وأفسدا المعرفة . أمران مضادان للطبيعة. ولا سبيل إلى ما يسميه المؤلف «إنقاذ حياتنا الفكرية» اللهم إلا بالأوبة إلى أفلاطون وأرسطو والقديس توما الأكويني الذين يجعلون من الحياة الفكرية مساهمة في الحياة الربانية . هذه التي هي أبعد شيء يكون عن الحياة الحديثة . لا سيما بالقياس إلى المفكرين ما بعد الحداثيين من نيتشيين وفوكويين وعلماء اجتماع المعرفة.

---

**· عنوان الكتاب: الأخلاقيات الفكرية (علم معرفة الفضائل)**

**· اسم المؤلف: روجي بويفي**

**· دار النشر: مكتبة فران/ فرنسا**

**· سنة النشر : 2020**

* أكاديمي مغربي

# بين يدي الله: الدين في المستقبل
## ماركو فينتورا

عزالدين عناية *

**تتردّد عبارة «بين يدي الله» على ألسنة كثير من المُؤمنين في العديد من الأديان. وتتضمّن المقولة إقرارًا وتسليمًا للقادر المقتدر، حين يعجز الفعل البشري عن بلوغ مراده. وليس اليهود والمسيحيون والمسلمون وحدهم من يسلّمون أمرهم إلى الله حين يعجز الفعل البشري، ويرفعون أيديهم بالتضرع والابتهال طلبًا للعون، بل منذ أربعين ألف سنة وُجدَت آثار يديْ الإنسان على جدران المعابد في كهوف البيرينيه وبورنيو (أندونيسيا)، وفي الصحارى، وفي بلاد الأناضول، في هيئة تضرّع وتقرّب لقوى خفية يَترجّى الإنسان منها العون.**

بهذه الإيحاءات الأنثروبولوجية يستهلّ الكاتب الإيطالي ماركو فينتورا مؤلفه «بين يدي الله.. الدين في المستقبل». فالكتاب بأقسامه الأربعة، يتوجّه إلى القارئ بلغة مبسَّطة ومباشرة، بعيدا عن صرامة اللغة الأكاديمية، رغم أنّ مؤلّفَه اعتمد الإحالات والتوضيحات في جلّ ما أورده.

يستعرض الكاتب أحداث القرن الفائت الكبرى ويبيّن آثارها على الوعي الديني في سائر الحضارات، مثل: تفجر الحربين العالميتين، ومعاهدة يالطا، وتشكل المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، وغليان العالم الإسلامي، وتفجر الثورة الإسلامية في إيران، وهزيمة السوفييت في أفغانستان. وهي أحداث ذات طابع ديني سياسي بامتياز شغلت الرأي العام العالمي طويلا. فقبل أربعين سنة تحدّى بابا الكنيسة الكاثوليكية يوحنا بولس الثاني (كارول ووجتيلا) الشيوعية، وسارت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر في ركب الليبرالية الاقتصادية، وجمع الرئيس الصيني دينغ شياو بينغ بين الكونفشيوسية والاشتراكية من أجل خلق النموذج الصيني الملائم للألفية الثالثة، وتسنّم الإمام آية الله الخميني ثورة دينية كانت الأكثر مشهدية في التاريخ المعاصر. ومنذ ذلك العهد تغيرت الأديان كثيرا، وبات أكثر من ٨٥ بالمئة من سكان المعمورة يدينون بمعتقدات الأديان الكبرى في العالم. إلى حدّ أن أضحى يلوح في الأفق إقرارٌ ديني وخُلقٌ قيمي جامع بين مختلف الأديان، وإن تباعدت الاعتقادات وتباينت الشرائع. يحفّزه سير المؤمنين اليوم نحو أهداف مشترَكة، لا سيما بخصوص مجابهة الفقر والعنف لاستشراء هاتين العاهتين، وبما يهدد أمن البشرية جمعاء. ولذلك يبدو الدين بمفهومه الواسع مدعوًّا لتوسيع مجالات خطابه لتشمل قضايا راهنة، ما كانت من ضمن انشغالات المؤمنين في ما مضى، مثل قضايا البيئة والطبيعة والمناخ والمديونية والبطالة.

في القسم الأول والثاني يحاول مؤلف الكتاب عرض جملة من الإشكاليات الجوهرية المطروحة بين الأديان، تتلخص في تصور كل دين القدرة على تقديم الخلاص الأخروي والفلاح الدنيوي للبشرية جمعاء. وصحيح سادت هذه الفكرة على مدى زمن طويل ولا زالت، ولكن هذا الإيمان بالاقتدار الذاتي على توفير هذا الفوز لا يلغي معطى أنّ كثيرا من الأديان وربما في مقدمتها الأديان العالمية، التوحيدية منها وغير التوحيدية، تقدّم خططًا في استيعاب الآخر، وفي احتضانه، وفي مراعاة معتقداته. فلا يمكن أن يُطلبَ من الأديان التخلّي عن معتقداتها الجوهرية في النظر لفلسفة الخلاص، وإنما أن يُنتظر من قادتها وأتباعها رسم خطط دينية في احترام الآخر ومراعاته، وتوفير مجال للعيش له بين ظهرانيها. وربما باتت الأديان في التاريخ المعاصر مدركة أكثر ممّا مضى لعبثية النزاعات والصراعات بين المؤمنين، لما تخلّفه من أثر سلبي على الإيمان. صحيح هناك ترهيب يشتغل عليه العلمانيون واللادينيون بشكل عام من المخزون الديني، وهو تخويف نابع من أخطاء حادثة في التاريخ، ينبغي محاصرة فاعليها من أجل بثّ السكينة بين مختلف أتباع الأديان. لأنه لا يُعقل أن يكون جلّ سكان المعمورة من المؤمنين، ويتحوّل هذا الرصيد إلى مصدر للخوف والرعب من الإيمان ذاته.

فما من شك أنّ الأديان قد شهدت تغريرا دفع بالأتباع إلى الانجرار للعنف على مدى العقود الأخيرة، وقد أضرّت تلك الأفعال بالمخزون القيمي وبسمعة الأديان. وقد كان دين الإسلام من أكثر الأديان تضرّرا من هذا الوضع المتفجّر، حتى باتت صورة الإسلام في الغرب تشكو شيئا من العتمة. لكن ينبغي أن نقرّ انّ العنف الذي أُلحق بالأديان، وإن أتاه بعض المنتمين إلى تلك الأديان، فهو في الواقع مرفوض من الأكثرية الساحقة، وهو لا يعبّر عن خيار جوهري، بل عن انحراف رؤيوي لدى بعض المنتمين. ومن هذا الباب وجب التمييز بين الأديان وأتباع تلك الأديان وعدم الخلط بينهما.

لقد شهدت العقود الأخيرة جملة من الأحداث العنيفة، توجّهت فيها التهمة إلى الأديان في الشرق أم في الغرب. ولكن المتأمّل في جلّ تلك الأحداث يلحظ ارتباطها بقضايا بعيدة عن جوهر الدين، وهي قضايا على علاقة بالقلاقل السياسية والتمايزات العرقية وبالصراع على الثروة. لكن الأديان بعد ذلك التورط اللاإرادي في الصراعات، يبدو أنها أدركت خطورة الانجرار إلى تلك الساحات لخطورة آثارها على المؤمنين وعلى السلم الأهلية بشكل عام. فهناك ما يشبه النضج في الخطاب الديني العالمي، يسير باتجاه بناء مشترك قيمي ورابطة جامعة تعلو فوق الخلافات، من خلال التواضع على جملة من المبادئ المشتركة والأهداف العليا التي تؤسس للحفاظ على النوع البشري. وتشدّد على ضرورة الدفاع عن كرامة الإنسان، وعلى المراعاة للموروث الروحي العالمي، بوصف هذا الأخير دعامة أساسية للحفاظ على كيان الإنسان أمام موجات العبثية والعدمية والاستغلال الفاحش التي تتهدّد البشر.

ما يلاحظه المؤلف في القسم الثالث من الكاتب، أنّ هناك عقلنة بدأت تشيع بين أتباع التقاليد الدينية، تقطع مع الانغلاق الذي ساد في مراحل سابقة، إيمانا بأنّ الحفاظ على الرصيد الروحي العالمي هو مسؤولية مشتركة، ولا يمكن التعويل فيه على جانب أو طرف بمفرده. وبالتالي نحن اليوم، كما يرصد المؤلف، أمام صحوة روحية للأديان من خلال الاحتضان المتبادل، وهو مسار جديد خلّف مبادرات مشتركة وبحثًا عن مناهج جديدة في استيعاب الآخر. وقد ساهمت العولمة مساهمة فعالة في تطوير هذا التمشي والحثّ عليه. فعلى إثر تعزز التجاور الحاصل في المجتمعات بين مختلف التقاليد الدينية، بات المؤمنون أكثر حرصا على التعارف، ولا سيما على مستوى التفاعل الاجتماعي والتعايش المباشر. فبعد تجارب العنف المقيت الذي أُلحق ضررا بسماحة الأديان، يدخل الدين اليوم تجربة اللاعنف والسلم، وهي مرحلة متقدّمة يُشتَرط أن تُوفَّر لها الدعامات حتى تتطور. فالسلم الجماعية لا تُصنَع بمجرد إلقاء الخُطب، بل لا بد من توفر عمل

مشترك، علمي ومعرفي، على مستوى عميق لتنقية الذاكرات وترشيد العقول لأجل صنع وعي روحي قادر على احتضان المغاير. يبدو دَور المفكرين، وعلماء الدين، والمؤمنين الحريصين، في هذا السياق محوريا، من أجل تنقية التراث الديني العالمي من بؤر التوتر، المعرفية واللاهوتية، ونشر أخلاق كونية جديدة بين البشر.

صحيح ثمة استفاقة في الهيئات الدينية العالمية، كما يبيّن الكاتب، على ضرورة ترسيخ السلم في الأوساط الاجتماعية، ولكن يبقى ذلك الأفق المنشود مرتهنا أساسا إلى سياسات عملية تهدف إلى تقليص الهوة بين الأغنياء والفقراء، وإلى العناية بالمهمَّشين والمعطَّلين، والعمل الدؤوب على تخفيف الضغط عن الطبقات الكادحة. فكلّ هذه المبادرات تصبّ في صالح ترسيخ قيمة السلم في المجتمعات. فلا يمكن الحديث عن سلم اجتماعية بدون مصالحة اجتماعية بين جملة من القطاعات الحيوية والأطراف المؤثرة، وهو ما يخلص إليه المؤلف. إذ يمكن للأديان أن تشتغل على نزع مشروعية العنف المتفشي في عالمنا، ويمكن لها أن تنجح إلى حدّ ما في تلك المهمّة، ولكن ليس باليسير إقناع الناس بالثبات على هذا النهج ما لم تجرِ مصالحة واسعة، وجبر للأضرار، واعتراف بالحقوق، على مستوى الجماعات والقطاعات. وهي مشاريع كبرى تتطلّب خططًا شاملة تتجاوز قدرة مجتمع أو دين بعينه. ومن هذا الباب فإنّ السلم اليوم هو مشروع عالمي ومنجَز جماعي، في ظلّ التحولات التي ألمّت بالعالم الراهن.

يُقرّ عديد الساسة والفاعلين الاجتماعيين، كما يرصد الكتاب، بضرورة تفعيل المخزون الروحي كضمانة لإنجاح السياسات والخطط ذات الطابع الكوني، وهو إقرار بقدرة الدين على تحريك الجماهير. إذ بات من غير الممكن التغاضي عن دور الدين في التاريخ المعاصر. فالتحديات الكبرى التي تواجه عالمنا متنوّعة: اقتصادية، وبيئية، ووجودية، والدين في هذا الجانب قادر أن يسهم مساهمة فعالة في هذا المجال. وهو بالحقيقة إقرارٌ يعبّر عن عودة إلى التعويل على الأديان ودورها في البناء الاجتماعي على نطاق وطني وعالمي. ولكن في ظلّ هذه الاستفاقة لدور الرصيد الروحي العالمي، ينبغي أن يبقى العاملون في القطاع الديني حذرين ممّا يجري، سيما وأنّنا نعيش حقبة تمدّد الرأسمالية الجشعة، الساعية إلى توظيف المتضادات والمتناقضات لغرض تحويل العالم إلى سوق محكوم بقانون العرض والطلب. إذ غالبا ما تكون السياسات براغماتية متحولة، وهو ما يدعو بحرص إلى إيجاد رابطة خُلُقية بين مختلف الأديان والتقاليد الروحية، بعيدا عن التقلبات والتبدلات التي تحصل في عالم السياسة.

في القسم الأخير من الكتاب يحاول ماركو فينتورا أن

يستشرف مستقبل الأديان من خلال متابعة ما يشغل كل دين على حدة. إذ يلحظ الكاتب أنّ الدين ما عاد قابعا في المعابد والمصليات، وما عاد منزويًا بعيدا عن مشاغل الحياة. تطوّرت العلاقة العمودية بعالم القداسة، وبالمثل تطورت العلاقة الأفقية بعالم البشر. وتبعا لذلك نشهد تمظهرات جديدة للدين في كثير من الأعمال والأشغال، وتحالفات لقادته مع عوالم السياسة والاقتصاد، ومجاراة لبعض الخيارات المصيرية التي تهمّ البشرية جمعاء، وفي الواقع هو تحوّل خُلقيّ وقيميّ واستراتيجيّ غدا يُميز الدين في العصر الحالي، يتميز بالحضور الفعلي للمخزون الروحي. فحين نتحدّث عن دور الدين في دعم السياسات التنموية، أو عن إسهامه في إنجاح بعض الخيارات البيئية، فهذا تحول في الوعي بالدين وفي عيش الدين. وعلى ذلك الأساس ظهرت أشكال جديدة من التدين ومن عيش الدين تميز فترتنا التاريخية.

حين كتب الفرنسي جيل كيبيل مؤلفه «ثأر الله» في مطلع تسعينيات القرن الماضي، بدا مضمون الكتاب حينها يحيل على عودة المخزون الروحي العالمي بعد طمس طويل، جرّاء العلمانيات المتطرّفة والنظم الاشتراكية المجحفة. حصل مرورٌ للدين من حالة اللامرئي إلى المرئي، ومن حالة الخمود إلى حالة الثوران. وشاع حراك جارف هزّ العديد من التقاليد الدينية في أواخر الألفية الثانية. كانت العودة عاصفة وثأرية بالفعل، وقد تابع العالم ذلك الحراك من خلال وقائع الثورة الإسلامية في إيران، ومن خلال أحداث الصراع بين الكنيسة والدولة في بولونيا الاشتراكية، ومن خلال عودة الدين بقوة في إسرائيل وتراجع الصهيونية العلمانية لفائدة الصهيونية المتدينة. بعد تلك الحالة الثأرية التي عبّر عنها كيبيل، وحاول رصدها في جملة من المؤلفات اللاحقة مثل «فتنة» (٢٠٠٤) و«الجهاد.. الصعود والانحدار» (٢٠٠٠) و«الشرق الأوسط.. الخروج من الفوضى» (٢٠١٨) وإلى غاية كتابه الأخير «النبي والجائحة» الصادر خلال العام الجاري، شهد الدين تحولات جمّة. ويبدو الإشكال المطروح في المستقبل، وهو كيف الوصول إلى الوفاق بين مختلف التقاليد الروحية العالمية لغرض خدمة الإنسان. فهذا الشاغل يمثّل قاسما مشتركا بين جملة من القيادات الدينية العالمية. وقد تعزّز البحث عن ذلك الأفق المشترك بتطوّر ملحوظ للحرية الدينية وإقرار بالتعددية. إذ شهدت جملة من الفضاءات الدينية المنكفئة على ذاتها، في وقت سالف، نوعًا من الانفتاح على بعضها البعض، من حيث مراعاة الخصوصيات والشعائر والعقائد المتبادلة، وهو تطوّر بارز ضمن سياق بناء المؤتلف الجامع بين المؤمنين.

وكما يعرب ماركو فينتورا ينبغي أن تكون الحرية الدينية فعلية لا شكلية، سيما وأن «الحرية الدينية» التي يُفترض أن تراعى في الغرب بين مختلف التقاليد الدينية هي حرية منقوصة في ظل الاحتكار السائد للمجال الديني من قِبل بعض التقاليد الدينية. إذ لا تزال جملة من الكنائس في أوروبا تتصرف بوصفها الوصية على الذاكرة الجماعية والموكلة بالهوية الجماعية، وكأن الفضاءات الاجتماعية بمنأى عما يهزّها من موجات هجرة وتحولات دينية. ففي بلدان جنوب أوروبا لا تزال الهيمنة واضحة للكنيسة الكاثوليكية، وما فتئ الدين المنافس سواء منه الوافد مع المهاجرين أو النابع من الواقع الغربي يعيش حالة تضييق وحصار على أنشطته. الأمر ذاته ينطبق على شمال أوروبا ذات الأكثرية البروتستانتية والأنغليكانية، إذ لا يزال الاحتكار سائدا من قِبل الكنائس المهيمنة على الفضاء الديني، ولا يزال رأس السلطة السياسية متماهيا مع الموروث الديني للبلد دون فصل واضح.

---

- الكتاب: بين يدي الله.. الدين في المستقبل.
- تأليف: ماركو فينتورا.
- الناشر: منشورات إيل مولينو (بولونيا-إيطاليا) «باللغة الإيطالية».
- سنة النشر: 2021.
- عدد الصفحات: 191 ص.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا

# عالم بدون جوع: حكامة الأمن الغذائي

## أنطوان برنار دو ريمون ودلفين ثيفي

سعيد بوكرامي *

**ماذا لو كانت الطريقة الأفضل والأكثر فعالية، لمواجهة التحدي المتمثل في إطعام تسعة مليارات من البشر في عام ٢٠٥٠، تتمثل فقط في تغيير أنماط التغذية؟ يحاول كتاب «عالم بدون جوع: حكامة الأمن الغذائي» الذي أشرف على تأليفه الباحثان أنطوان برنار دو ريمون، ودلفين ثيفي، الصادر مؤخرا أن يجيب على الكثير من الأسئلة المقلقة المرتبطة بالأمن الغذائي.**

في عام ٢٠٠٨، وعلى الرغم من الإنتاج الزراعي المرتفع، شهد العالم أزمة غذاء خطيرة تسببت في «أعمال شغب بسبب الجوع» في حوالي أربعين دولة. وأعقب ذلك تعبئة جماهيرية للمجتمع الدولي، ظهر في نهايتها توافق مفاده: لم يعد من الممكن النظر إلى الأمن الغذائي من حيث الكميات المنتجة وقضايا التنمية، بل يجب أن يأخذ بعين الاعتبار أيضًا الجوانب الصحية والاجتماعية والمناخية و البيئية. سواء كانت الدعوة إلى ثورة خضراء جديدة، أو إلى تنويع غذائي جذري، أو إلى تدخلات شاملة في قطاعي الصحة والحماية الاجتماعية، لا يمكن لأي نهج أيضًا تجاهل علاقات النفوذ القوي بين الجهات الفاعلة في النظم الغذائية المختلفة.

بدأت إرهاصات الأزمة الغذائية العالمية منذ السبعينيات وبشكل ملفت منذ ٢٠٠٦ لكنها لم تظهر بشكل مخيف إلا خلال النصف الأول من عام ٢٠٠٨ ؛ إذ تسبب الارتفاع الحاد في أسعار السلع الزراعية في حدوث أزمة غذائية وأعمال شغب بسبب الجوع في عدد كبير من الدول.

بعد خمسة وعشرين عامًا من التحسن المطرد، بدأ منحنى المجاعة يتحول مرة أخرى في الاتجاه الخاطئ (حسب تقرير منظمة الأغذية والزراعة وآخرين، ٢٠١٧)، فقد حان الوقت للتشكيك في هدفها المعلن عن عالم خالٍ من الجوع وكذا حول فعالية حكامة الأمن الغذائي الحالي. في الواقع، فإن المنحنى العام للعالم كله يتصاعد نحو الأسوأ، مثلا لم يتغير الوضع السيئ في إفريقيا أبدًا في الاتجاه الإيجابي منذ الخمسة وعشرين عامًا الماضية التي سعت فيها منظمة الأغذية والزراعة إلى تنفيذ بعض المشاريع لتحقيق الأمن الغذائي. وبين عامي ١٩٩٢ و٢٠١٥، زادت المجاعة بمقدار ٥٠ مليون ضحية في إفريقيا. وإذا كان هناك انخفاض عالمي في الوقت نفسه، فذلك يرجع بشكل أساسي إلى تحسن الأمن الغذائي في أكبر البلدان الناشئة. على الصعيد العالمي، تظل الحقيقة هي أن الأشخاص الذين يعانون من انعدام الأمن الغذائي في العالم قد انتقلوا من أكثر من مليار في عام ١٩٩٢ إلى أقل من ٨٠٠ مليون في عام ٢٠١٥، مع ارتفاع إلى ٨١٥ مليون في عام ٢٠١٦. ولكن يجب أن نكون حريصين. لكي لا ننسى ما يسمى أحيانًا «الجوع غير المرئي»، أي أكثر من ملياري شخص يعانون من نقص في العناصر الغذائية. ومن بين هؤلاء تعترف منظمة الأغذية والزراعة بوجود ٦٠٠ مليون امرأة مصابة بفقر الدم، مع تداعيات ذلك على أطفالهن. يمكننا أن نضيف إلى هذه الأرقام تلك المتعلقة بنقص التغذية القاتل للأطفال وسوء التغذية والسمنة - حتى في صفوف الأطفال والكبار - بالإضافة إلى الأمراض المرتبطة بالنظام الغذائي مثل السكري وأمراض القلب والأوعية الدموية ...(ص ٢٠ و ٢١).

وفي سياق مرتبط تحلل فصول الكتاب التسعة بنية تكوين الأفكار والأدوات التنظيمية التي تفهم بواسطتها ظاهرة المجاعة في العالم، بدءًا من سؤالين أساسيين. السؤال الأول يندرج ضمن علم اجتماع المشاكل العامة، ويتعلق بالمخططات التفسيرية للأمن الغذائي، وتشعبها، وإعادة تشكلها على ضوء تأثير أحداث معينة. أما السؤال الثاني فيرتبط بتطور فئات الفاعلين في إدارة الأمن الغذائي وإعادة تحديد طرق التعامل مع مشكلة المجاعة كحقيقة ميدانية تلاحظ نتائجها الوخيمة وإن على نطاقات ضيقة، لكن تداعياتها الخطيرة تنعكس على جوانب متعددة، يمتد تأثيرها في الزمان والمكان لعقود عديدة. وفي السنوات التي أعقبت عام ٢٠٠٨، ظهر تعريفان متضاربان للأمن الغذائي ضمن الأفكار وأدوات المعرفة والأدوات التنظيمية (ص ٢٧-٣٣). إن أزمة الغذاء من منظور الأمن الغذائي العالمي، هي نتيجة عدم التوافق بين العرض والطلب: إطعام تسعة مليارات شخص في عام ٢٠٥٠ سيتطلب أولاً وقبل كل شيء زيادة الإنتاج الزراعي. أما بالنسبة لاستدامة الغذاء، فإن أنماط الإنتاج والاستهلاك هي سبب المشكلة، لأنها تشكل تهديدًا على الصحة والبيئة: لذلك يجب إعادة النظر في النظام الغذائي بأكمله في ضوء تغير المناخ المتلاحق، والتحول الديموغرافي والغذائي المسارع.

في الفصل الرابع الذي يجمع كل قضايا الكتاب، حلل إيف فويو ونيكولاس بريكاس وآرلين ألفا الأسباب التي جعلت العديد من المنظمات تقدم سريعاً الحل الإنتاجي للأمن الغذائي العالمي، حتى أثناء الأزمة. ويرجع أصله إلى عجز في الإنتاج، ولكنه في الحقيقة يوجد في تنوع العوامل، وفي مقدمتها الطلب المتزايد على الوقود، الذي يعد السبب الرئيسي في ارتفاع الأسعار. وفقًا للمؤلفين، يمكن تفسير نجاح «الإنتاجية» - النموذج الذي بموجبه يعتبر الإنتاج المعيار الوحيد لتقييم أخلاقيات الزراعة (ص ١٣١) - منذ البداية، دعا الفاو إلى دعم فوري للإنتاج الزراعي، مثل مجموعة العشرين ومجموعة الثمانية. وانضمت إليهم حركات الدفاع عن صغار المزارعين الذين، على الرغم من معارضتهم للإنتاجية، يعتبرون أن الإنتاج الزراعي يظل الحل الأفضل لانعدام الأمن الغذائي (ص ١٤٥).

بالإضافة إلى ذلك، تمنح قوة منطق القطاع الزراعي انطباعا أنها معبأة على أرض الواقع بدراساتها المستقبلية، كما يفسر الفصل الأول ذلك. ونجد نماذجها في دراسات «الأثر» للمعهد الدولي لبحوث السياسات الغذائية وتغيرات المشاريع في العرض والطلب والأسعار في سوق واحدة من خلال التفكير من وجهة نظر زراعية أحادية. من جانبها، تقوم بدراسة حالات التوازن الغذائي من خلال مقارنة توفر المنتجات واحتياجات الطاقة، دون الأخذ بعين الاعتبار الأصل الزراعي للأزمة. ومن ثم، فإنها تجعل من الممكن دمج الوصول إلى الغذاء ضمن مشاريعها، في حين يسلط «الأثر» الضوء على الحل الإنتاجي فقط. ومع ذلك، ونظرًا لأنَّ مصممي مفهوم «الأثر» تمكنوا

من استيعاب انتقادات المعهد الدولي، فقد هيمنت دراساته في الردهات المؤسسية.

في الفصل الثاني، يوضح أنطوان برنار دو ريمون أيضًا أن المدافعين عن الأمن الغذائي العالمي قادرون على دمج القضايا البيئية لإقناعنا في نهاية المطاف بأن أفضل حماية للنظم البيئية الطبيعية هي الإنتاج الزراعي. يتضح هذا من خلال برنامج «الأمن الغذائي العالمي في المملكة المتحدة» ومفهومه للتكثيف المستدام، والذي يدعو إلى زيادة الإنتاج دون توسيع المساحة المزروعة، من خلال تخصيص المناطق: بعضها مخصص للإنتاج المكثف، والبعض الآخر للحفاظ على التنوع البيولوجي (ص ٧٨). وحسب مصممي البرنامج، تهدف الزراعة العضوية إلى أن تكون حلاً شاملاً وعالميًا لانعدام الأمن الغذائي، ولكن لا يمكن أن تكون الاستجابة من الناحية المكانية متطابقة بسبب متغيرات طبيعية مختلفة. على مستوى آخر، فإن ما يسميه المؤلفان «قفل المناقشات» يجد امتداداته في الحكامة العالمية للأمن الغذائي، لأنه على الرغم من ظهور جهات فاعلة جديدة، فإن المديرين التنفيذيين الذين ابتعدوا عن الإنتاجية الزراعية ظلوا يمثلون أقلية. كما يعتبر وضع الشركات متعددة الجنسيات في المنصات المتعددة التخصصات والمتدخلين فيها مفيدا في هذا الصدد، لأن الأمن الغذائي مهم لهذه الشركات بقدر ما يكون سوق المستهلكين الفقراء (للسلع الأساسية) مربحًا، لأن القيمة المضافة المنخفضة لكل وحدة يقابلها حجم السوق.

وبالتالي، فإنَّ شركات أونيلوفر و سينغاطا و مونساطو - التي تستثمر في ما يصل ١١ من أصل ١٥ منصة عالمية قائمة - تدافع عن التحديث الزراعي، وبشكل أكثر تحديدًا التقوية الحيوية، التي تهدف إلى زيادة القيمة الغذائية للنباتات عن طريق بذور معدلة. علاوة على ذلك، تحوّل هذه الكيانات الاقتصادية قوتها السوقية إلى قوة استبدادية، وهي القدرة على تأطير المناقشات التي «تحدد مسبقًا معالم المشكلة وحلولها» (ص ١٧٤). ومع ذلك، تفضي فصول عديدة من الكتاب إلى تسليط الضوء على هيمنة الأمن الغذائي العالمي على هيئات صنع القرار. أولاً، كما هو موضح في الفصل الثالث، مكن إصلاح لجنة الأمن الغذائي، وهي كيان تابع للأمم المتحدة، الذي أنشئ في عام ١٩٧٤، من دمج الجهات الفاعلة غير الحكومية في المفاوضات الحكومية الدولية التي مُنحت حق التحدث في الجلسة العامة وفي تقديم مقترحات رسمية. ومع ذلك، فإن العديد منهم يربطون الأمن الغذائي بحقوق الإنسان،

وبالتالي يدافعون عن «نظام المسؤوليات» لرؤساء الدول والحكومات (ص ٢٥٦).

ولهذا السبب نفذت سياسات عامة في العديد من البلدان، لأنها جزء من الاستدامة الغذائية، تختلف عن مجرد دعم الإنتاج الزراعي. في البرازيل، وهي موضوع الفصل السابع، يتماشى النظام الوطني للأمن الغذائي، مع مبدأ السيادة الغذائية الذي يُفهم على أنه حق الشعوب في تحديد سياساتها وممارساتها الغذائية، الأمر الذي يتطلب الحفاظ على أعمال الفلاحين ودعمهم في الأسواق المحلية. إذا كانت استراتيجية (القضاء على الجوع) راسخة في هذا البلد و تاريخه الوطني الفريد ( المتمثل في التحالف بين الفاعلين في الصحة والتغذية ضد الجوع في الفترات السياسية العصيبة)، كما أنها استفادت من دعم المنظمات الدولية . ويضيف الفصل الثامن أن مسار الحق في الغذاء في الهند يُظهر أيضًا القدرة التحويلية لتأطير الأقليات. في نهاية التسعينيات، أدى إصلاح نظام التوزيع العام للغذاء إلى استبعاد الأسر التي كان دخلها أعلى بقليل من خط الفقر، مما أدى إلى انخفاض مشترياتها، في حين أن الإنتاج الزراعي في الوقت نفسه أخذ في الازدياد، و نتيجة للزيادة الكبيرة في الحد الأدنى لدعم للمزارعين. و لمواجهة حالة «الجوع المتفاقم»، أطلقت عريضة الاتحاد الشعبي للحريات المدنية في عام ٢٠٠١، التي نشأ عنها نزاع حول المصلحة العامة، لكن قضاة المحكمة العليا، استجابوا لهذه المطالب وبذلك فتح الباب على مصراعيه أمام دسترة الحق في الغذاء.

أخيرًا، يشير فرانسوا كولار ديتوي في الخاتمة إلى أن «حقوق الإنسان تُفهم على أنها فردية بينما تستند فعاليتها إلى التطبيق الجماعي» (ص ٢٨١). ثم يسلط الخبير القانوني الضوء على الصياغة اللازمة لتفعيل وترسيخ الحق في الغذاء، لإن فعالية هذا الحق تتطلب سياسة أمن غذائي تقوم على الاعتراف في القواعد الدولية بمبدأين: استثناء زراعي وغذائي يؤدي إلى الرأي القائل بأن المنتجات الزراعية والغذائية ليست سلعة مثل غيرها ؛ وللدول الحق في تنظيم إنتاجها (على الأقل في حالة حدوث أزمة مرتبطة بالطبيعة أو بالأسواق) لضمان حد أدنى من السيادة الغذائية. أخيرًا، يجب أن تشمل مثل هذه السياسة عنصر «الديمقراطية الغذائية» الذي يضمن للجميع إمكانية الوصول إلى المعلومات مثل الوسطاء بين منتجي المنتجات الأولية والمستهلكين.

في نهاية المطاف، يُظهر هذا الكتاب المهم مجموعة متنوعة من التفسيرات للسياسات التنفيذية للأمن الغذائي العالمي. ومع ذلك، فإننا نفتقد في الكتاب إلى مقاربات تخص الحاضر الآني، على الرغم من أن الدراسات قدمت سبرا رئيسيًا للأمن الغذائي في شموليته. لذلك نتساءل عما إذا كانت هناك طرق أخرى للتفكير والعمل بشأن توفير الغذاء للجميع وإمكانية الوصول إليه. بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ استدعاء الكتاب لنماذج التفاعل بين المناقشات العالمية والسياسات الوطنية منحنا بصيصًا من الأمل في إمكانية تحقيق المزيد من النجاحات لو توفرت الإرادة السياسية لحكامة حقيقية للأمن الغذائي مع إعطاء الأولوية للجوانب الصحية والاجتماعية والمناخية والبيئية.

---

- الكتاب: عالم بدون جوع: حكامة الأمن الغذائي
- المؤلف: أنطوان برنار دو ريمون، ودلفين ثيفي
- دار النشر: Presses De Sciences Po باريس. فرنسا
- سنة التأليف: 2021
- عدد الصفحات: 304 ص
- اللغة الفرنسية

* كاتب ومترجم مغربي

# الانفتاح: قصة التقدّم الإنساني

## جون نوربيرغ

محمد السماك *

**يروي كتاب الباحث السويدي الدكتور جون نوربيرغ قصة التطور الحضاري عبر التداخل بين الشعوب والثقافات. ويدلّ عنوان كتابه :«الانفتاح»، على الفلسفة التي قامت على قواعدها مسيرة التطور كما عكستها الحضارات الإنسانية في الشرق والغرب على حدٍّ سواء .**

يبدأ المؤلف مع البدايات الأولى المعروفة للحضارة الإنسانية، وهي الحضارة الرومانية قبل قرن من ولادة السيد المسيح. ويقول إن روما تمكّنت من فرض سيطرتها على كل حوض البحر الأبيض المتوسط شمالاً وجنوباً وشرقاً، وإن ما يعادل ٩٠ بالمائة من شعب الإمبراطورية الرومانية كان يعيش على مسافة لا تبعد أكثر من ١٥ كيلومترا فقط عن ساحل البحر. كانت الإمبراطورية تستورد الذرة من مصر وزيت الزيتون من إسبانيا والدهانات (الأرجوانية) من قرطاجة الفينيقية -تونس اليوم- (والأرجوان هو صباغ للأنسجة أحمر اللون يستخرج من ثمار البحر. وكان الفينيقيون أول من استخرجه واستعمله في تلوين الملابس الزاهية).

ويبني المؤلف على ذلك قاعدة عامة يقول فيها إن سرّ نجاح وازدهار الإمبراطورية الرومانية يعود في الدرجة الأولى إلى انفتاحها على التجارة، والانفتاح على الشعوب الأخرى، وعلى الأفكار المتوالدة مع هذه الشعوب؛ حتى أن أسرى الحروب حملوا معهم المهن التي تعلّموها في بلادهم. لذلك فتحت الإمبراطورية أمام الغرباء الأبواب للعمل وتبوّؤا مناصب أساسية في الدولة . وكان يمكن أن يصبحوا مواطنين بعد فترة من الأسر . كذلك فإن ابن الأسير المستعبَد كان يمكن أن يعتلي مناصب عليا في الدولة والمجتمع حتى أنه يمكن أيضاً أن يصبح إمبراطوراً، وقد حدث ذلك بالفعل كما يؤكد المؤلف .

يقدم الكاتب الدكتور نوربيرغ صوراً عن مختلف الحضارات التي عرفها العالم في الشرق والغرب ليؤكد من خلالها النظرية التي يحاول أن يقدمها ويدافع عنها، والتي تقول إن التقدم يعتمد على الانفتاح . ومن هنا كان عنوان الكتاب . مع ذلك فإن المؤلف لا يتجاهل الحقيقة الواقعية التالية، وهي أن للانفتاح أعداءً وخصوماً أشدّاء، وأن هؤلاء يعملون على شد عقارب الساعة إلى الوراء، وأنهم لا يفشلون، ولكن فشلهم كان دائماً البوابة للتقدّم الحضاري.

ولإثبات نظريته حول العلاقة بين الانفتاح والتقدم، يقود المؤلف القارئ في جولة شيّقة على حضارات العالم القديم في الشرق والغرب. وهو من خلال هذه الجولة يقدم مادة معرفية ثقافية يحتاج إليها كل باحث في الإنسانيات والشؤون الحضارية.

ويمكن بكثير من الجهد اختصار هذه الجولة في الوقائع التالية :

لم تتوقف الحضارة الرومانية عن التطور إلا بعد أن انغلقت على ذاتها . وكما يقول المؤلف، فإن سبب الإنغلاق يعود إلى اعتناق روما المسيحية ديناً للدولة، الأمر الذي أدى إلى إقصاء الرومان الذين بقوا على معتقداتهم الوثنية، وتعرّضوا بسبب ذلك إلى الاضطهاد والإقصاء؛ فانفجرت من جراء ذلك سلسلة من أعمال العنف والاضطهاد على خلفية دينية إلغائية لكل من هم خارج العقيدة المسيحية الجديدة. وعرفت روما صراعات وحروبا أهلية دموية . أدى هذا الواقع الجديد إلى انضمام الوثنيين إلى أعداء الإمبراطورية الرومانية بعد أن كانوا من أبنائها ومن المدافعين عنها، وذهبوا في ذلك إلى حدّ تسهيل اقتحام البرابرة لروما باعتبارأولئك البرابرة مخلّصين لهم من الاضطهاد الديني.

قامت الحضارة العربية في العصر العباسي على عقول شعوب متعددة في الدولة الواحدة فازدهرت علوم الطبّ والحساب وأثمرت عن عطاءات إنسانية باهرة ؛ وكان لترجمة الكتب العلمية والفكرية إلى اللغة العربية دور أساسي في فتح آفاق المعارف في العلوم والرياضيات والفلك، وكذلك في الفلسفة . وما لم يشر إليه المؤلف هنا هو أنه في العهد الأموي كان المأمون يقدم للمترجم تعويضاً يبلغ وزن الكتاب ذهباً .

بعد سقوط الأندلس، عملت السلطة الإسبانية الجديدة، كما يقول المؤلف، على اضطهاد وإبعاد من أطلقت عليهم صفة «الهراطقة واليهود والمسلمين». وهم الذين جعلوا من إسبانيا الأندلسية منارة علمية وجسراً حضارياً إلى أوروبة . ويقول إنه نتيجة للابعاد والاضطهاد تقهقرت اسبانيا اقتصادياً واجتماعياً، ووصلت إلى القعر الحضاري بين عامي ١٥٠٠ و ١٧٥٠، بعد أن كانت في القمة .

لا يقتصر المؤلف في دراسته على حضارات أوروبا وحوض البحر المتوسط، ولكنه يقدم أمثلة عن حضارات شرق آسيا، وعلى رأسها الصين . فيقول إن أسرة «سونغ» التي رحّبت بالتجار المسلمين، وكذلك بالرهبان الهنود، تمكّنت من صناعة الورق، ومن ثم صكّت العملة الورقية، وذلك للمرة الأولى في تاريخ الإنسانية . كما تمكنت من صناعة ماكنات النسيج التي تعمل بالقوة المائية . وحققت بذلك ما يمكن وصفه بأنه أول ثورة صناعية للإنسان، متقدّمة على الغرب بحوالي ٤٠٠ عام على الأقل . وهنا أيضاً يؤكد المؤلف أن قرارات الانغلاق على الذات في الصين أدت إلى التخمّر والانحلال الداخليين، ومن ثم إلى التراجع ومن ثم إلى السقوط.

حتى أنه عندما تبوأت السلطة أسرة «مينغ»، عمدت إلى تحطيم الأجهزة الصناعية الذكية، وأقفلت حدودها البحرية مع العالم وانغلقت على ذاتها

حتى الاختناق، وتوقفت عن التبادل التجاري وعن التعامل مع غير الصينيين تحت طائلة العقوبة بالموت. وعملت حتى على استئصال الحركات الصينية الانفتاحية باعتبارها حركات غير وطنية . استمرّ هذا التراجع التقهقري مع أسرة « مانشو» التي ذهبت في الانغلاق إلى أبعد مما ذهبت إليه أسرة «مينغ»، فمنعت أي نوع من الاتصال أو التواصل مع الخارج . حتى أنه في عام ١٦٦١ فرضت على جميع الصينيين من سكان الشواطئ الجنوبية للبلاد الانتقال إلى الداخل، وإلى الابتعاد عن السواحل (حيث خطر التعامل أو حتى الاحتكاك مع الخارج) مسافة ثلاثين كيلومتر على الأقل. وبذلك تضمن السلطة قطع أي نوع من أنوع التعامل أو التواصل مع الخارج.

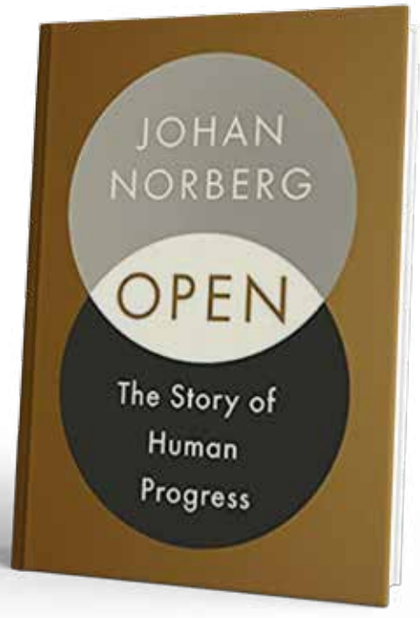


استمرّ هذا الانقطاع الصيني الانغلاقي - الاختناقي عن الخارج ردحاً من الزمن، حتى أنه بعد قرن على قرار أسرة «مانشو» بالابتعاد عن السواحل، عمد الإمبراطور «كيانلوغ» إلى منع دخول الكتب من الخارج، وأمر في الوقت ذاته بإحراق جميع الكتب التي تتحدث عن الأسر الحاكمة السابقة وإنجازاتها العلمية أو الفكرية، اعتقاداً منه بأن قطع أي صلة عاطفية معها يقطع الطريق أمام أي نوع من أنواع الولاء لها. وكان من المؤلفات التي أُحرقت في ذلك الوقت، الموسوعة الاقتصادية وموسوعة العلوم التقنية .

يقول المؤلف إن جنكيز خان كان قائداً سفاحاً ومحارباً محترفاً. وهو حكم عام يجمع عليه المؤرخون، ولكن الدكتور نوربيرغ يخرج بنظرية يقول فيها إن سياسات جنكيز خان المحلية تثبت اليوم صحة نظرياته في الإدارة والحكم المحليين.

يقول المؤلف إن المغول تميزوا بالتسامح الديني والإثني (العنصري)، مما مكّنهم من أن يتركوا آثارهم في المجتمعات التي اقتحموها وسيطروا عليها . صحيح أنهم أصحاب مدرسة قتالية تميّزت بالعنف الشديد، إلا أنهم كانوا أيضاً أصحاب مدارس إدارية وعلمية من مختلف الاختصاصات.

ويروي المؤلف هنا قصة مثيرة يقول فيها إنه من بين القوات المغولية (١٥٠ ألف رجل) التي غزت أوروبة في عام ١٢٤١، كان ثلث هذه القوات فقط من أصل مغولي، وإنه وجد بينهم جنود ألمان، ووجد بينهم أيضاً جندي انكليزي هرب من الاضطهاد في بلاده (انكلترا) لاتهامه بالهرطقة، ووجد مأوى له في المجتمع المغولي الأكثر تسامحاً وانفتاحاً.

من الصعب، وربما من المتعذر، إيجاد أي مجتمع ديني لم يعمل قادته على إغلاق أبوابه في وجه التدخلات الخارجية التي تستهدف ضرب الاستقرار الديني في هذا المجتمع .

كان هذا أيضاً شأن أوروبا -كما يقول المؤلف-. وهو يرى أن المجتمعات الأوروبية الحديثة المبكرة لم تكن أكثر تقدماً من المجتمع الصيني، غير أن القوة كانت موزعة في أوروبة بينما كانت متمركزة في الصين في شخص الإمبراطور. وهذا التوزّع مكّن علماء الاجتماع والفلاسفة الأوروبيين من الالتجاء إلى حاكم منفتح أو أقل انغلاقاً عندما كانوا يواجهون اضطهاد حاكم منغلق أو متشدد .

ويقدم المؤلف أمثلة على ذلك :

الفيلسوف «هوبس» كتب أطروحته الشهيرة «ليفياتن» وهو مهاجر إلى باريس .

الفيلسوفان «لوك» و«ديكارت» هاجرا إلى أمستردام - هولندة . وكان يمكن طبع كتبهم الفلسفية الجديدة في أي مكان من أوروبة، ومن ثم كانت أفكارهم تنتقل إلى الناس في كل أنحاء أوروبة متجاوزة إجراءات الحظر التي فُرضت عليهم في أوطانهم الأصلية .

هنا أيضاً يعترف المؤلف نوربيرغ بأن ردّ الفعل السلبي هو ظاهرة طبيعية إنسانية في مواجهة الانفتاح بما يحمله من تغيير في المفاهيم . فالعقل الإنساني في حالة تطور، وهو يواصل تطوّره منذ آلاف السنين على قاعدة الاعتقاد بأن التغيير الجذري أو التدميري كان يعني دائماً الموت . وأن تبادل المصالح مع الغرباء غالباً ما يكون حالة نادرة . ولو أن الثلاثمائة ألف عام الأخيرة من تاريخ الإنسانية يمكن ضغطها في يوم واحد لكان علينا -يقول المؤلف- انتظار اللحظة الأخيرة لإدراك أن التقدم المادي ما كان ليتحقق لولا الإشراقات المدمرة للأفكار السابقة. غير أن الناس محافظون بطبيعتهم . وعندما يتعرضون للتهديد يلجأون إلى قبيلتهم ويحتمون بها ويبحثون عن المأوى لديها، وهو ما يفسر الظاهرة التي تعيث فساداً في بعض المجتمعات الأوروبية اليوم والتي تجبر على السؤال التالي : لماذا يعمل الديموغوجيون على إخافة الناس من الآخر ؟ . فالخوف هو الوسيلة لتحقيق الفوز في الانتخابات للتخلص من مصدر الخوف الذي يمثله الآخر المختلف !!

مع ذلك، تقدم خاتمة الكتاب صورة متفائلة . في هذه الصورة التي يرسمها المؤلف عن المجتمعات الغربية -في أوروبة والولايات المتحدة- يقول إن الشعبويين يخسرون السلطة لأنهم يفشلون في إدارة شؤون الحكم . ويقدّم إحصائية تقول إن أربعة من كل عشرة من زعماء هذه الحركات الشعبوية الرافضة للآخر أُدينوا بالفساد .

وفي المحصلة الأخيرة، فإن كتاب «الانفتاح» يشكل رحلة فكرية عبر الحضارات، على متن سفينة العقل الإنساني . في هذه الرحلة كثير من المتعة الفكرية .. وفيها أيضا كثير من أجراس الإنذار !!.

---

- الكتاب : الانفتاح : قصة التقدّم الإنساني Open : The Story of Human Progress
- الكتاب : جون نوربيرغ John Norbeirg
- الناشر : أتلانتيك للكتاب Atlantic Books
- الصفحات : 488
- التاريخ : 2020

* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي

# الإقطاعية الجديدة
## ألكسندر ليجافا

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

**يُعيدنا مؤلف الكتاب إلى أزمنة بعيدة نسبياً في التاريخ الروسي، وبالتحديد تلك التي شاع فيها نظام شبيه بالعبودية، وذلك من أجل المقارنة بين درجة الحرية والحقوق الاجتماعية في روسيا المعاصرة وما كانت عليه منذ مئتي سنة تقريبا. ويهدف البحث إلى إظهار موقع المواطن المعاصر لدى المؤسسات الدولية والقرارات المتخذة من قبلها كما يرسم آفاق وضع الفرد العادي في المستقبل القريب.**

يذكرنا الكاتب في أول الكتاب بحقيقة أن مجموعة القواعد القانونية التي عُمل بها في زمن الإقطاعية الروسية، حيث أُلزمت مجموعة من الناس على العمل ضمن قطعة أرض معينة بما يقترب في المعنى من مفهوم العبودية، إلا أنَّ ذلك الوضع كان مقيدا بخصائص وقواعد تقضي بمراعاة حقوق الإنسان الرئيسية. فمن المعروف أنه منذ عام ١٦٤٩ وحتى إلغاء نظام القنانة في روسيا عام ١٨٦١ كان يُحظر على الفلاحين مُغادرة قطع الأراضي التي التزموا بالعمل فيها. كانت الأرض نفسها مملوكة للنبلاء وكان لهم دخل منها ولكن ليس أكثر من ذلك، فلم يكن مالك الأرض هو المالك القانوني للقن. أما التجاوزات الجائرة التي قد يقترفها صاحب الأرض على قنه، فاعتبرها القانون جريمة وكان يُنزل عقابه على الجاني بغض النظر عن ثرائه والطبقة النبيلة التي ينتمي إليها. فعلى إهانة أحد الأقنان يُجبر مالك الأرض على دفع غرامة كبيرة للضحية، وفي حالة القتل يودع السجن. وكان الفلاح يمتلك ثمار عمله وكان له دائمًا مُمتلكات أخرى.

يشير الباحث إلى أننا نشهد في أيامنا الراهنة بعض سمات الحد من حرية المواطن الروسي على الرغم من أن تطور الرأسمالية والصناعات أدى إلى القضاء التام على وضع الأقنان وزيادة حادة في الأفراد الأحرار: عمال المصانع ورجال الأعمال والمثقفين. في السياق نفسه، ومن أجل ضمان التقدم العلمي والتكنولوجي والتكافؤ العسكري بين البلدان، كان لا بد من ارتفاع في مستوى التعليم يشمل مختلف طبقات المجتمع، فبدون ذلك يبقى من المستحيل تحقيق هذا الضمان. وبالمقابل أدت الحوسبة والأتمتة والروبوتات إلى وضع جديد حدَّ من المشاركة البشرية في عملية الإنتاج عموما، وبالتالي غدت مجموعة مُعتبرة من الأشخاص الذين يستهلكون الموارد، غير ضرورية للأوليغارشية المالية، بل أكثر من ذلك، إذ بدأوا يشكلون تهديدًا لأي طبقة اجتماعية تستولي على السلطة في البلاد. في هذا السياق، يصل المؤلف إلى خلاصة مفادها أن الأوساط الحاكمة تسعى إلى استعباد أكبر شريحة من السكان وجعلهم تابعين تمامًا من الوجهة الاجتماعية، وهنا يطرح السؤال نفسه: هل نحن أمام سيناريو أكثر جهامة مما كان عليه الحال منذ قرنين من الزمن؟

لا يقتصر الكاتب على مثال روسيا الراهنة فيتأمل في الصين ومستجداتها وابتكاراتها في مجال إدارة الحياة الاجتماعية وخاصة النظام المتّبع للتصنيف الاجتماعي العام. يعلق الكاتب قائلا: «لا بد أن تمنحنا هذه التجربة فكرة لما ينتظرنا في المستقبل القريب». ويوضح أن الحكومة الصينية تقوم بتقييم سلوك وموثوقية مواطنيها وتخصيص قائمة تقييمية لكل شخص تبدأ من الصفر حتى ألف نقطة. فمثلا إذا استمع الشخص إلى الموسيقى بصوت عالٍ جدًا، ولو أنه لم يدفع الضرائب والغرامات أو تم ضبطه وهو يعبر الشارع في المكان الخطأ، فقد يتم تقييد بعض حقوقه أو قد يفقد امتيازات معينة كإمكانية حجز تذاكر الطيران أو تحديد سرعة وصوله إلى الانترنت أو منعه من تربية حيوان أليف في منزله. ويصف المؤلف هذا النظام من الانضباط باعتباره تحقيقا لحلم يصبو إليه أي عالم نفس سلوكي، أي مكافأة السلوك الاجتماعي الإيجابي ومعاقبة السلوك الاجتماعي السلبي. ولكن المؤلف - مع ذلك - يطرح سؤالا مختلفا: «أليس الهدف الضمني للحكومة الصينية فرض سيطرة كاملة على المجتمع وقمع أي معارضة لها، أي قمع الأفكار المخالفة لخط الحزب الحاكم؟».

في هذا الصدد يورد المؤلف ملاحظة تتعلق بمدى دقة التصنيف الصيني لسلوك الأفراد وكيف يمكن تطبيقه على تصرفات الفرد على الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي. يقول: «على سبيل المثال، قد ينتج عن انتقاد الحكومة في الإنترنت نقطة سلبية واحدة هذا الشهر وعشر نقاط في الشهر المقبل. وبوجه عام كيف يمكن للمواطنين الذين تم تصنيفهم عن طريق الخطأ أن يتجنبوا تجاوز الخط الأحمر إذا كانوا لا يعرفون كيف يُصنّف النظام فعليًا الانتهاكات المختلفة؟»

في هذه الحالة يحذر الكاتب من الضرر الذي يمكن أن ينجُم في حالة وقوع أي خطأ في حسابات النظام أو أي خلل في عمل القواعد الإلكترونية: «في عام ٢٠١٨ صرحت السلطات الصينية بأنها ستقوم بتجميد أصول أي شخص غير موثوق به وذلك في إطار برنامج تصنيف المواطنين. وبإمكان المرء تخيل اختفاء جميع أصوله المالية فجأة لمجرد أن كاميرا المرور أخطأت في قراءة لوحة سيارته» ويضيف المؤلف مقارنا بين هذا النظام وما تفتق عن مخيلات بعض الروائيين المشاهير: «لم يعد الواقع ينتمي إلى خيال زامياتين أو هكسلي أو أورويل، بل ينتمي إلى عالم كافكا الذي تميز بسمتين رئيسيتين: الأولى أن القواعد التي تحكم النظام ليست هي نفسها لمن يشمله هذا النظام والثانية أنه لا يوجد أي مخرج لأولئك الذين يتعرضون للاضطهاد أو المدانين ظلما من قبل النظام».

على الرغم من كل ذلك فقد تأصل النظام في المجتمع الصيني كما أنه غير مرفوض من قبل المواطن الصيني، ويبدو أن الصينيين العاديين

بحاجة إلى هذا النظام، بل إنهم يحبونه. والحال كذلك، يكتسب الرقم الذي يمتلكه المواطن في إطار النظام التقييمي الاجتماعي أهمية كبيرة، وكما يمكن أن نتخيل، فهو رمز مهم لمكانة الفرد وتطوره في المجتمع. إلى جانب ذلك، يشكّل هذا النظام ضربا من اللعب المثالي، وبالفعل فقد تحول إلى صنفٍ من الألعاب. فالصينيون متهورون بشكل عام، ولأجل مراقبة سلوكياتهم المحددة بنظام النقاط، فإن الناس العاديين يقومون طواعية بالانضمام إلى هذا النظام. ولأجل إضفاء صبغة المنافسة (الضرورية لكل لعبة) يتيح تطبيق Sesame Credit للمستخدمين مقارنة تصنيفاتهم بشكل مباشر مع تلك الخاصة بأصدقائهم. مع ذلك، وعلى الرغم من قبول الصينيين لنظام التصنيفات هذا، يستنتج المؤلف أنه نظام عقوبات صريح، لا يختلف كثيرًا عن عملية تعذيب قد تؤدي إلى الوفاة. إنها موت بألف جرح، أي عندما يكون الجرح الواحد غير قاتل، لكن النتيجة التي تؤدي إليها مجتمعة تفضي إلى الموت فقرا أو تشردا أو جوعا وذلك في حالة الحصول على تصنيف متدنٍ.

في الفصل الثاني يتأمل الباحث تجربة اجتماعية أخرى وهي دفع المعاشات المضمونة للمواطنين انطلاقاً من الفكرة التي نشأت في فترة الرئيس الأمريكي ريغن، حيث قدمت السلطات الأمريكية عرضا تحفيزيًا للجميع يتضمن توفير مبالغ ضخمة على شكل إعانات بطالة لدرجة أن العاطل عن العمل كان يستفيد من إعانة كبيرة من دون الحاجة إلى الخروج من المنزل. بهذا تكون الحكومة قد دفعت للناس أموالا كي لا يعملوا، وفي حالات كثيرة جدا كانت تدفعهم إلى إغلاق مشاريعهم «غير الضرورية».

إلى جانب الاعتبارات الاقتصادية، يطرح الكاتب تأثير هذه الإجراءات على نفسية المواطنين فيقول: «يعتبر الخمول آفة تضر بالفرد والمجتمع ككل لدرجة أن الكثيرين يفضلون التواجد في مقار عملهم على زيادة رواتبهم وهم في المنزل. إن إنفاق النقود ليس عملاً سهلا بالمطلق في حياتنا المعاصرة، كما أن العمل ممتع بحد ذاته، والعديد من الوظائف تنطوي على مغاز اجتماعية. وحتى حين أصبح مستوى المعيشة أعلى بكثير مما كان عليه في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أن غالبية العمال

يفضلون القيام بعملهم في مقار العمل، وليس القعود في المنازل. جرّب أن تقضي بضعة أشهر في المنزل منشغلا بألعاب الفيديو وستجد أن الحياة بلا معنى. فإن طبقنا هذا النظام على عشرات ومئات الملايين من الناس فسنكون حينها أمام معضلة عظيمة». ووفقًا لتقديرات الخبراء، تعد البطالة غير الطوعية واحدة من أقوى الصدمات التي يمكن أن يواجهها الشخص. إنه أسوأ من الطلاق وله آثار نفسية مهلكة. «لا يمكن للجميع استخدام وقت فراغهم بكفاءة. علاوة على ذلك، فإن وقت الفراغ غير المنظم يعد أمرًا سيئًا لمن هم بين سن العشرين والسبعين. لقد سمعنا جميعًا قصصًا عن أشخاص حققوا حياة مهنية رائعة لكنهم توفوا بعد تقاعدهم بفترة وجيزة. لقد اختفى هدفهم في الحياة، ولم يعرفوا ماذا يفعلون في المنزل. إن لم يكن لديك هدف، فلن تلاقي تأثيرات نفسية فحسب، بل تأثيرات جسدية أيضًا» (ص:١٥١) ويتساءل الكاتب عن الهدف من هكذا برامج اجتماعية: هل نريد منها تحويل الجزء الأكبر من الأفراد النشطين، وعلى رأسهم الطبقة الوسطى، إلى كتلة غير متبلورة وغير قادرة على القيام بعمل مستقل؟

يذكرنا هذا الكتاب ببعض الدراسات الاقتصادية الروسية المعاصرة التي تشير إلى ارتباط المواطن بصاحب العمل تماما كما كان حال الفلاحين منذ قرنين. فرغم تدني مستوى المعيشة نجد أن العامل لا يألو جهدا لإثبات ولائه لصاحب العمل، وهذا بالضبط ما كان قائما في أزمنة الإقطاعية. ولا تتوقف السمات التي تعيدنا إلى الخلف وتسمح لنا بالمقارنة بين اقطاعية الأمس واليوم (كما هو ظاهر من عنوان الكتاب) على المستوى العالي من غياب المساواة وحسب، بل أيضا طابعها المشوه وتكوين العوامل التي تؤثر على أجور العمال الروس، حيث تتراجع العوامل الداخلية التي تلعب دورًا رائدًا في النماذج الغربية كالتعليم والمؤهلات وخبرة العمل، في حين تكتسب العوامل الخارجية للعامل أهمية طاغية. كما تلعب الاختلافات الفئوية دوراً أكثر بروزاً مقارنة بالمؤهلات. ومن السمات المماثلة للقرون الوسطى هي أن تحديد قيمة العامل يتم حسب المكان الذي يعمل فيه (مؤسسة، مشروع معين) وليس وفقاً لمهاراته وخبراته. ومثلما كان الحال في القرن التاسع عشر، قد يأتي حظ العامل مع مالكٍ طيب فيسعد وقد يكون سيده شريرا فيتعس، والعواقب جرّاء هذا الوضع واضحة. فمثل هذا النظام يجبر العامل والموظف على إظهار الولاء لرئيسه، أولاً وقبل كل شيء، وذلك خشية فقدان العمل أو التعثر فيه. كما يصبح تغيير مكان العمل مغامرة غير مضمونة العواقب. ويكشف لنا هذا النظام سبب عدم فعالية جمعيات العمال الروسية (النقابات العمالية وغيرها). ففي هذا النظام الذي لا تعتمد فيه الأجور على المؤهلات وإنما على مكان العمل، تقع القوى العاملة ذات المؤهلات العالية في شرك منافسة السلبية بين بعضها البعض، ويكون الولاء للمسئول هو سلم الارتقاء في العمل وليس تطوير المؤهل وتنمية الخبرة.

---

- الكتاب: الإقطاعية الجديدة
- المؤلف: ألكسندر ليجافا
- دار النشر: ريبول كلاسيك / موسكو/ 2021
- اللغة: الروسية
- عدد الصفحات: 384
- *أكاديمية ومستعربة روسية

*** أكاديمية ومستعربة روسية**

# الدراسات الاقتصادية المقارنة في أوروبا: مراجعة الثلاثين عاما

## فلاديمير أندريف

وليد العبري *

**كتب فلاديمير أندريف هذا الكتاب تكريما لهورست بريزينسكي، ويستكشف مجموعة واسعة ومتنوعة من الموضوعات المتعلقة بالدراسات الاقتصادية المقارنة.**

تحتوي فصول هذا الكتاب على مساهمات عدد من الرؤساء السابقين للجمعية الأوروبية للدراسات الاقتصادية المقارنة، وتناقش قيود الميزانية الصعبة، والتحول الاقتصادي في وسط شرق أوروبا، والديمقراطية غير الليبرالية، وصندوق الثروة السيادية، والتعليم العالي، واليورو، واقتصاد الظل، والشركات والقوة الاقتصادية. يتم إيلاء اهتمام إضافي بمجالات الدراسة الجديدة مثل الاقتصاد الرقمي والاقتصاد الرياضي.

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة الاقتصادات المُقارنة عبر مجموعة واسعة من المناطق الجغرافية بما في ذلك الصين والمجر والمملكة المتحدة وبولندا والولايات المتحدة، وسيكون وثيق الصلة بالمهتمين بالاقتصادات الناشئة والانتقالية، والاقتصاد السياسي، والسياسة الاقتصادية، والعلاقات الدولية.

كان عام ٢٠٢٠ هو عام الذكرى الثلاثين للجمعية الأوروبية للدراسات الاقتصادية المُقارنة. تم جمع فصول هذا الكتاب للاحتفال بالحياة الطويلة الأمد للجمعية الأوروبية للدراسات الاقتصادية وإنجازاتها على مدى ثلاثين عامًا من الزمن. نظرا لأنَّ الدراسات الاقتصادية المقارنة كانت دائمًا تغذيها بعض القنوات من خلال الاقتصاد السياسي والاقتصاد غير السائد، فإنَّ الجزء الأول خصص لما تبقى من نهج الاقتصاد السياسي هذا بعد ثلاثين عامًا. كما يوضح الجزء الثاني أنه على الرغم من تنوعه عبر البلدان والقضايا الاقتصادية، إلا أن تحليل الاقتصاد المُقارن النموذجي لا يزال على قيد الحياة وفي حالة جيدة. ويقدم الجزء الثالث ثلاثة أمثلة لكيفية توسيع الدراسات الاقتصادية المقارنة لتشمل موضوعات ومجالات جديدة بالفعل مثل التجارة الإلكترونية واقتصاديات الرياضة.

منذ حوالي خمسين عامًا كان الاقتصاد السياسي الماركسي اللينيني للاشتراكية هو النظام الأسمى للعلوم الاجتماعية، داخل الإمبراطورية السوفيتية. لم يكن تطويرها بأيِّ حال من الأحوال غير مُثير للجدل. لذلك، فقد استغرق الأمر حتى أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، إلى جانب النظام الاقتصادي الستاليني، ظهر الجسم العقائدي للنظام. ومع ذلك، كعلم تاريخي، ليس لديه الكثير ليقوله حول كيفية تشغيل هذا النظام. في جوهرها، هناك قوانين الاشتراكية الاقتصادية. كقوانين هي أعراف يجب على المخطط الاشتراكي الالتزام بها. الأول، القانون الاقتصادي الأساسي للاشتراكية هو وظيفة موضوعية: تعظيم الرفاهية. الثاني، قانون التنمية المتوازنة المتناسبة للاقتصاد، يفترض الاستخدام الفعال للموارد من خلال التخطيط الواعي. الثالث، قانون القيمة، الذي يتضمن إنتاج السلع في ظل الاشتراكية وتحديد شروط التوازن، نوقش بشدة داخل النظام. جاءت النتائج التخصيصية والتوزيعية لهذه القوانين خارج نطاق الاقتصاد السياسي، وعولجت باقتصاديات التخطيط الأمثل.

عكس التفكير بين الاقتصاديين المحترفين حول التحول التشيكوسلوفاكي بعد عام ١٩٨٩ الأفكار التي طوروها خلال العقود السابقة. أدت فترة «التطبيع» القمعية، بعد محاولات الإصلاح في أواخر الستينيات، إلى الانقسام إلى مجموعات من الأجيال. طورت مجموعة كبار السن من الاقتصاديين، الذين تم إسكاتهم رسميًا منذ عام ١٩٧٠، مفهوما للتحول التدريجي مع استمرار ملكية الدولة الكبيرة. بين جيل الشباب، حريصا على حماية حياتهم المهنية، أسس فاتسلاف كلاوس مكانته كشخصية رائدة في المناقشات التي كانت مسموحا بها لفترة من الوقت، لكن هذه لم تؤد إلى استراتيجية اقتصادية متماسكة. تُظهر المقارنات مع المجر وبولندا عوامل جذب متشابهة لأفكار ميزس وهايك، ولكن أيضا الاعتراف المتزايد في تلك البلدان بأن نقدهما للاشتراكية لم يكن كافيا لاستراتيجية الإصلاح. ساعدت الوتيرة الأبطأ للتغيير الاقتصادي والتحرير السياسي قبل عام ١٩٨٩ في تشيكوسلوفاكيا، والنطاق المحدود للنقاش، والمناقشة لهؤلاء الاقتصاديين الذين اعتقدوا أن أسرع خصخصة ممكنة يمكن أن تنتصر سياسيا.

انتهى الانتقال من الاشتراكية إلى السوق لكنه ترك بصماته على الاقتصادات التي تمر بمرحلة انتقالية. أحد الدروس المهمة في عملية الانتقال هو التأثير الرئيسي لصلابة قيود الميزانية على العملية، والاقتصاد الناتج، والدولة. لا ينبغي لأحد أن يتغاضى عن أهميته الأخلاقية: فالتعريف الثابت يعني أنك تتلقى ثمار عملك، وتحصل على أرباحك، وتبتلع خسائرك بعد أن تكون صعبة. هنا يتجلى الدور الحيوي للدولة في الاختلافات الشديدة في نجاح التحول في البلدان ذات البنية الاقتصادية الاشتراكية المتشابهة للغاية: أوروبا الشرقية مقابل الاتحاد الفيدرالي.

هناك أدلة على تزايد الميول غير الليبرالية في العالم الصناعي، والمجتمعات الديمقراطية. كما تحدث متلازمة «النظر إلى الداخل» (القومية الصاعدة). هل سيتم ربطها بسائقين مؤقتين في «الأوقات الاستثنائية» التي نعيشها، أم أن لديها جذورا أعمق؟ تتطلب الإجابة على هذا السؤال فحص الاتجاهات في المجتمع والاقتصاد، وظهور تهديدات جديدة (غير تقليدية)، والاضطرابات، وليس أقلها السياسات العامة الفاشلة. إن الحجة القائلة بأنَّ «الديمقراطية الليبرالية» آخذة في الانحسار هي حجة مضللة لدرجة أنه يمكن تصحيح السياسات، بحيث لا يفقد المواطنون والنخب على حد سواء الثقة في القيم الديمقراطية. قد يكون صحيحًا أيضاً أنه على الرغم من أن الديمقراطية لها «جوهر ليبرالي»، إلا أنها يمكن أن تكون مدفوعة أيضًا بمكونات «غير ليبرالية»، ويمكن أن يختلف حجم هذه الأخيرة. ولكن من أجل بقاء الديمقراطية، يجب الحفاظ على جوهرها الليبرالي.

تلعب صناديق الثروة السيادية (SWF) دورًا مهمًا في العديد من البلدان. يضع المؤلف نموذجا يُظهر قدرة صندوق الثروة السيادية على استقرار الأنظمة الاستبدادية. قد يكون لدى النخبة الحاكمة حافز لوضع جزء من دخلها في مثل هذه الأداة الاستثمارية. والسبب هو أن صندوق الثروة السيادية يعطي مصداقية للنخبة الحاكمة فيما يتعلق بقرارها المستقبلي بشأن إعادة التوزيع للفقراء. هذه المصداقية مهمة للنخبة؛ لأن هذا يساعد على منع الفقراء من القيام بثورة. تتلاءم مضامين النموذج تمامًا مع الملاحظة القائلة بأن استخدام صندوق الثروة السيادية أكثر شيوعاً في البلدان ذات الأنظمة السياسية الاستبدادية.

الجامعات في الاتحاد الأوروبي مدعوة لدعم التكامل والسعي لتحقيق القيمة الاقتصادية، كما يتضح في كل من الاستراتيجيات الأوروبية والوطنية. تمشيا مع هذا المنظور، تعمل مؤسسات التعليم العالي الأوروبية على تعزيز قيمة مخرجاتها التعليمية والمعرفية مع تعزيز أساسها الاقتصادي. الهدف الأول يتماشى مع المنافسة الأكبر بين الاقتصادات، وأصبح الأخير مهما في أعقاب الأزمة الدولية والأزمة المالية للعديد من الدول الأوروبية. من السمات الخاصة لمؤسسات التعليم العالي في الاتحاد الأوروبي دورها في دعم التكامل الأوروبي، مع الاهتمام بشكل خاص بسوق عمل موحد.

وبالتالي، تركز الكثير من إجراءات الاتحاد الأوروبي على تحريك الحكومات والجامعات في اتجاه متابعة تكامل أنظمة التعليم الوطنية. للقيام بذلك، وبالنظر إلى كفاءات الاتحاد الأوروبي المحدودة في مجال التعليم، اقترحت المفوضية الأوروبية استراتيجيات وأهدافا وقدمت جزءا من أساس الموارد اللازمة. الحكومات الوطنية مدعوة بدورها إلى تنفيذ الإصلاحات اللازمة. المكون الأساسي لهذا النهج هو ما يسمى بعملية بولونيا التي أنشأت منطقة التعليم العالي الأوروبية. يتمثل جوهر العملية في ضمان إمكانية المقارنة في معايير وجودة مؤهلات التعليم العالي بين الدول الأوروبية. كانت نتيجة هذه العمليات مهمة، ولكن لا يزال هناك الكثير الذي يتعين القيام به. يحلل الكتاب بشكل نقدي تطور التعليم العالي ونظام البحث الأوروبي في إطار التكامل الأوروبي وبغية النظر إلى الأهداف المنشودة والنتائج المحققة والتحديات المقبلة.

أدت الأجندة النيوليبرالية إلى استقطاب المجتمعات، وبالتالي، فإن الخيارات التي تواجه الناخبين في المملكة المتحدة تتراوح من الليبرالية الجديدة إلى الاشتراكية اليسارية. توجد أدلة تجريبية بالفعل على التأثير القابل للقياس للهيمنة المتزايدة للجناح الليبرالي الجديد لحزب المحافظين، مما يشير إلى استمرار سياسة عدم التدخل، والسيطرة على الهجرة، وزيادة عدم المساواة، وانخفاض الضرائب وانخفاض الأجور الاقتصادية، وركود الدخل وتدهور الخدمات العامة. ستؤدي الأيديولوجية المتنافسة إلى تأميم المرافق ونظام السكك الحديدية، وتنظيم رأس المال، مما يستلزم بعض عناصر التحكم لمنع الهروب، وتحرير العمل، وزيادة الضرائب، لا سيما على الشركات لإصلاح الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية والخدمات العامة، وقد سُنت أحكام لتحسين توزيع الثروة. كلا البديلين يجب أن يكونا غير محبوبين لغالبية الناخبين. ومع ذلك، متحالفاً مع النظام الانتخابي «أول ما بعد»، في عالم ما بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، فإن ما أصبح الطبيعة القبلية لمجتمع المملكة المتحدة سوف يتأرجح بين أيديولوجيتين متنافستين على حساب الرفاهية الوطنية. الأساس المنطقي لهذه الظاهرة غير مفهوم أو مقبول من قبل النخبة السياسية. التفسير المعقول هو التحول الثقافي في القيم التقدمية نحو مجتمع ما بعد صناعي، وتكنولوجي، وشامل اجتماعيًا، ومتعدد الثقافات، مبني على زيادة فرص التعليم العالي.

يلتقط هذا الكتاب الفكرة الشيوعية التي تعود إلى قرن من الزمان بأن هذا النظام سوف يتطور يومًا ما للسيطرة على النظام الرأسمالي. الآن بعد أن نجحت الصين في اللحاق بالركب، لم تكتسب وزنا كبيرا على مستوى العالم فحسب، بل أصبحت أيضا قوة صاعدة في منطقتها في جنوب شرق آسيا. على الفور، يُطرح السؤال حول ما إذا كانت هذه القوة الناشئة ستستخدم قوتها المتنامية لتظهر كقوة اقتصادية مهيمنة، والتي قد تغير قواعد اللعبة في الأعمال التجارية والاقتصاد الدولية بعيدا عن الحرية. المنافسة على أرض مستوية لشيء آخر قد لا تكون الدول الغنية اليوم متفوقة فيه. هذا السؤال، بالطبع، يذكرنا بالخوف الذي يعود إلى قرن من الزمان من

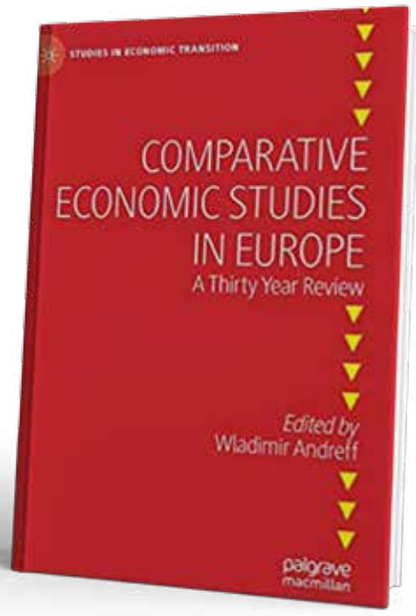


الصين ذات الأعراف والقيم المتباينة.

التكنولوجيا عامل رئيسي للتنمية الاقتصادية والقوة الاقتصادية. يحاول الكاتب تقييم مصادر وتأثير القوة التكنولوجية وتغيراتها في الولايات المتحدة والصين في السنوات ٢٠٠٠-٢٠١٨ بطريقة مقارنة. تحليل تراكم رأس المال، والتعليم، والتعلم من خلال العمليات، والتصنيع وتراجع التصنيع، والتغيير الهيكلي، والمراحل المختلفة لنموذج Fordist للتنمية، تساهم في تفسير سبب كون الولايات المتحدة في الوقت الحاضر هي القوة التكنولوجية العالمية الأولى، ولماذا كانت الصين تلحق بالركب بسرعة منذ ذلك الحين بدأت الإصلاحات الاقتصادية الجذرية في عام ١٩٧٨. وقد نما الاقتصادان العملاقان بشكل غير متساو في تكوين رأس المال والمعرفة والصادرات وفي القطاعات الرئيسية، مثل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والسيارات، والطاقة، ومصادر الطاقة المتجددة، وما إلى ذلك. قطاعات تجاوزت الصين بالفعل الولايات المتحدة، أو ستتجاوزها قريبا، نظرا للحجم الديموغرافي والصناعي الأكبر والديناميكية الأعلى للاقتصاد.

المراجع المنزلية داخلية المنشأ والأسواق نفسها تؤثر في تكوينها. إدخال الأسواق الإلكترونية للسلع والخدمات والأذواق والتفضيلات والقيم والعلاقات الشخصية ذات التأثير العمالي بطرق جديدة، وأحيانا لا يمكن التنبؤ بها. توفر المزيد من الأسواق الرقمية كميات هائلة من المعلومات للمستهلكين والمنتجين، ولكن هذه المعلومات قد تكون غير متماثلة وتخلق قوة سوقية على جانبي المعاملة. في الماضي، كان يُعتقد أن التخطيط المركزي هو بديل للأسواق في تحديد فرص الإنتاج والاستهلاك، ولكن من الناحية العملية فشل بسبب متطلبات المعلومات. هذه المعلومات متاحة اليوم ويمكن استخدامها من قبل الكيانات الخاصة أو الكيانات الحكومية أو حتى الآلات للتأثير أو التحكم في إنتاج وتوزيع العمالة والسلع والخدمات، وبالتالي الأعراف الاجتماعية أيضًا. ما إذا كانت الإنترنت ستكون استعبادا أم تحريرا هو سؤال مفتوح.

يذكّرنا فلاديمير أندريف أولا بالنموذج الدولي للرياضة، وأدائها الأولمبي المفرط، والإصلاحات قبل انهيارها النهائي. لم يكن التحرك نحو نظام رياضي متوافق مع السوق خلال الأزمة الاقتصادية التحويلية؛ بدون عوائق انتهى بها المطاف في صناعة رياضية هجينة. أثرت كل هذه التغييرات على الأداء الأولمبي نزولا. تشرح النمذجة الاقتصادية القياسية إجمالي ميداليات جميع الدول في الألعاب الأولمبية الصيفية من خلال نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، وعدد السكان، وتأثير البلد المضيف، والتخصص الرياضي الإقليمي، ومتغير النظام السياسي الذي يأخذ بعين الاعتبار خصوصية الشيوعية، وما بعد الشيوعية. تم تكييف نموذج مشابه مع الألعاب الشتوية من خلال إضافة متغيرين، التغطية الثلجية والهبات في منتجعات الرياضات الشتوية. يقدم كلا النموذجين تفسيرا ذا دلالة إحصائية لكيفية تطور مجاميع الميداليات في دول ما بعد الشيوعية. يُمكّن نموذج الألعاب الأولمبية الشتوية، المستخدم للتنبؤ، من التحقق من تأثير تعاطي المنشطات على الأداء الأولمبي من خلال تجربة طبيعية في دورة ألعاب سوتشي ٢٠١٤.

في الماضي، قدمت الأندية الأوروبية مثالا نموذجيا لـ«ظاهرة قيود الميزانية الناعمة» التي وصفها في البداية يانوس كورناي. كعلاج، قدم الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (UEFA) لوائح ترخيص النادي واللوائح المالية العادلة (FFP). كان شرط التعادل ومبدأ القيمة السوقية العادلة من العناصر الرئيسية لهذه اللوائح منذ إدخالها في عام ٢٠٠٩، وتطبيقها لأول مرة في عام ٢٠١٢. في عام ٢٠١٥ تمت إضافة المفهوم الجديد للاتفاقيات الطوعية. ما هو الأساس المنطقي المفترض وراء هذا التعديل الرئيسي للقواعد؟ بعد تحليل آثار متطلبات التعادل ومبدأ القيمة السوقية العادلة، يقترح المؤلف أن المفهوم الجديد للاتفاقيات الطوعية يجعل FFP أقل عرضة للادعاء بأنه يميز ضد رواد الأعمال الحقيقيين الراغبين في تطوير أندية كرة القدم التي تتم إدارتها بشكل سيء إلى أعمال مستدامة. تمنح الاتفاقات الطوعية رواد الأعمال مزيدا من المرونة في الاستثمار، الأمر الذي سيكون ذا أهمية خاصة في البيئات التي لا يتم فيها تعويض الجودة، إلا ببطء من أسواق كرة القدم. يصعب التوفيق بين حقيقة أنه لم يتم التوقيع على اتفاق طوعي واحد حتى يناير ٢٠٢٠ مع ادعاء التمييز.

---

**· اسم الكتاب: الدراسات الاقتصادية المقارنة في أوروبا ... مراجعة الثلاثين عاما**

**· المؤلف: فلاديمير أندريف**

**· عدد الصفحات: 482 صفحة**

**· دار النشر: بالجريف ماكميلان**

**· سنة النشر: 2021**

*** كاتب عُماني**

# إمبراطورية التعهيد:
# كيف صنعت الشركات السيادية العالم الحديث
## أندرو فيليبس وجي سي شارمان

محمد السالمي *

**منذ أوائل القرن السابع عشر، سعت القوى الأوروبية إلى توسيع مجالات نفوذها من خلال السيطرة على الموارد خارج الحدود الأوروبية وذلك لمواجهة التحديات الجيوسياسية والعسكرية المتزايدة، إضافة إلى تعظيم الثروة. لم يكن لدى الحكام الأوروبيين الوسائل المؤسسية التي يمكنهم من خلالها توسيع سلطتهم عبر القارات، مما دفع لإنشاء شركات تعهيد سيادية عابرة للقارات. وتعد هذه الخطوة لبنة الأساس في بناء أول نظام دولي حقيقي في العالم. بعيدا عن الربح، تمتلك هذه الشركات مواثيق مؤسسية تمنحها سلطات سيادية للحرب والسلام والحكم ويمكن اختصارها بالاستعمار. لقد أقامت شركات مثل الهند الشرقية الإنجليزية والهولندية إمبراطوريات في آسيا، بينما دفعت دول أخرى للتوسع لأمريكا الشمالية وإفريقيا وجنوب المحيط الهادئ. في هذا الكتاب المميز، يشرح كل من أندرو فيليبس وجي سي شارمان صعود وسقوط هذه الشركات السيادية، ولماذا نجح البعض بينما فشل البعض الآخر، ودورها كطليعة للرأسمالية والإمبريالية.**

منذ أوائل القرن السابع عشر، سعت القوى الأوروبية إلى توسيع مجالات نفوذها من خلال السيطرة على الموارد خارج الحدود الأوروبية وذلك لمواجهة التحديات الجيوسياسية والعسكرية المتزايدة، إضافة إلى تعظيم الثروة. لم يكن لدى الحكام الأوروبيين الوسائل المؤسسية التي يمكنهم من خلالها توسيع سلطتهم عبر القارات، مما دفع لإنشاء شركات تعهيد سيادية عابرة للقارات. وتعد هذه الخطوة لبنة الأساس في بناء أول نظام دولي حقيقي في العالم. بعيدا عن الربح، تمتلك هذه الشركات مواثيق مؤسسية تمنحها سلطات سيادية للحرب والسلام والحكم ويمكن اختصارها بالاستعمار. لقد أقامت شركات مثل الهند الشرقية الإنجليزية والهولندية إمبراطوريات في آسيا، بينما دفعت دول أخرى للتوسع لأمريكا الشمالية وإفريقيا وجنوب المحيط الهادئ. في هذا الكتاب المميز، يشرح كل من أندرو فيليبس وجي سي شارمان صعود وسقوط هذه الشركات السيادية، ولماذا نجح البعض بينما فشل البعض الآخر، ودورها كطليعة للرأسمالية والإمبريالية.

وللتعريف بمؤلفي الكتاب، فإن أندرو فيليبس هو أستاذ مشارك في العلاقات الدولية والاستراتيجية بجامعة كوينزلاند، وهو مؤلف كتاب «الحرب والدين والإمبراطورية». في المقابل، جي سي شارمان هو أستاذ العلاقات الدولية بجامعة كامبريدج، من أبرز أعماله كتاب «إمبراطوريات الضعفاء» و«دليل المستبد لإدارة الثروات».

يغطي فيليبس وشارمان صعود الشركات التعهيد السيادية في المحيط الهندي والأطلسي، وكذلك سقوطها.

وتتمثل الفرضية الأساسية للكتاب في أن الحكومات الأوروبية سعت إلى إنشاء وتوسيع إمبراطورياتها، وذلك من خلال إصدار مواثيق لشركات التعهيد مما يمنحها امتيازات استثنائية وذلك من أجل جذب كميات هائلة من الاستثمارات طويلة الأجل. ولا ريب أن هذه الشركات كانت بارزة في ابتكاراتها سواء في مجال التمويل، أو شكل الملكية المشتركة، أو مفهوم المسؤولية المحدودة، وكذلك مجالس الإدارة. بالإضافة إلى ذلك، تم منحها حقوقا تجارية احتكارية. إن شركات مثل الهند الشرقية الهولندية والإنجليزية قد تمتعت بنجاح مبكر لعدة أسباب. أولها، أنها كانت قادرة على إبعاد نفسها عن الحروب في أوروبا، ويرجع ذلك بسبب استقلاليتها وبعدها عن مركز الأحداث. ثانيًا، كانت قادرة على معالجة المشاكل البيروقراطية المتوطنة في الإدارة الحكومية، مثل مشكلة الوكيل، إضافة إلى القدرة الداخلية على تنظيم العنف. كما أن الطبيعة الهجينة لشركات التعهيد السيادية (المؤسسات شبه العامة وشبه الخاصة)، سمحت للمسؤولين بإبرام مجموعة متنوعة من الصفقات مع الأنظمة السياسية المحلية. في حين يرى المؤلفان أن ملوك أوروبا لن يخضعوا أبدًا، ولو بشكل رمزي، للزعماء القبليين في إفريقيا وآسيا للوصول إلى تجارة التوابل أو امتيازات التعدين، ولم تواجه شركات التعهيد مثل هذه المشكلة، حيث تنطلق بحافز تعظيم الأرباح.

لاحظ المؤلفان أن شكل المساهمة بين الدولة وهيكل الشركة ذات المسؤولية المحدودة من السمات التي سمحت باستثمار مبالغ كبيرة من رأس المال في مشاريع خارجية محفوفة بالمخاطر. كما أن فصل شركات التعهيد بين الملكية والإدارة حفز القائمين على إعطاء الأولوية للنمو طويل المدى مقابل الربحية على المدى القصير. حافظت شركة هودسن باي، والتي تتمتع بصفة احتكارية على تجارة الفراء في المحيط الأطلسي، وعلى وجود مؤسسي مستمر من القرن السابع عشر حتى اليوم. وقد أعطى هذا الهيكل المؤسسي إلى جانب ميثاق الاحتكار المدعوم من الحكومة شركات التعهيد ميزة تنافسية هائلة مقابل التجار الآخرين.

كانت خطوط التجارة بين أوروبا وآسيا لها جاذبية خاصة في ذلك الوقت. ومع ذلك، أدت تكاليف الاتصالات والنقل المرتفعة إلى ظهور عدد لا يحصى من مشاكل الوكيل الرئيسي. حيث استغل الكثير من الوكلاء التجاريين، الذين كانوا بعيدين عن المسؤولين في أوروبا، الوضع للانخراط في مساعيهم التجارية الخاصة وتجاهل تعليمات أصحاب العمل. ولحل هذه المشاكل، استخدمت شركات التعهيد آليات مؤسسية لمواءمة حوافز أصحاب العمل وحوافز موظفيهم البعيدين. وقد نظم الحكام الأوروبيون احتكارات تجارية طويلة الأجل من خلال ميثاق ملكي وسع سلطاتهم السياسية وسن القوانين والحرب إلى عملائهم. وقد أعطى الحكام الجهات الفاعلة غير الحكومية امتيازات قسرية مقابل رأس المال المكتسب من التوسع التجاري.

كما أدارت شركات التعهيد السيادية قواتها المسلحة وشاركت في الحرب وإبرام المعاهدات. وقام البعض أيضًا بسك عملتهم الخاصة وإدارة العدالة المدنية والجنائية داخل أراضيهم.

يلخص المؤلفان نجاح شركات التعهيد السيادية بأنها

مؤسسة قادرة على تمويل وتنسيق وإنشاء وإدارة الاحتكارات التجارية العسكرية على نطاق عابر للمحيطات. أدت هذه الخصائص، إلى جانب المناخ الجيوسياسي في ذلك الوقت، إلى نجاح هذه المؤسسات المبكرة. إن تاريخ هذه الشركات هو توازن بين القوة والربح، والتكلفة النهائية للحفاظ على قوتها المتنامية. طوال مناقشة صعود وسقوط شركات التعهيد، برز عاملان مهمان في صعود هذه الشركات. أولاً ، تم تشكيل هذه الشركات في أماكن وأوقات محددة لحل مشاكل مؤسسية معينة، لذلك استمرت بعض عناصرها، بينما أصبح البعض الآخر قديمًا. ثانيًا، أسهمت هذه الشركات في تعزيز العلاقات بين الثقافات حول العالم.

بعد النجاح الأولي لشركات الهند الشرقية الهولندية والإنجليزية، تم تعزيز شكل شركات التعهيد السيادية في جميع أنحاء أوروبا وإرسالها إلى جميع أنحاء العالم. في المقابل، كانت الشركات الجديدة من هذا النوع أقل نجاحًا، سواء في تراكم القوة أو تعظيم الثروة الاقتصادية. وفي النهاية ، جاء سقوط شركات التعهيد السيادية بسبب صعوبة موازنة القوة والأرباح. بالنسبة للمشاريع التي ركزت حصريًا على الربح من خلال تجنب التكاليف العسكرية، فقد تم إزاحتها جانبًا من قبل خصومها الأقوياء. ومن جهة الشركات التي ركزت بشكل أكبر على السلطة، فإن تكاليف الحفاظ على القلاع والجيوش التهمت عائداتها، مما أدى في النهاية إلى الإفلاس المالي. وفي كثير من الأحيان، لجأ بعض هذه الشركات إلى الحكومة الراعية لإنقاذها، مقابل فقدان استقلاليتها وشخصيتها شبه الحكومية. ومع فقدان الاستقلالية، غالبًا ما يتم خرطها في حروب أوروبية مكلفة، والتي تجنبوها بحكمة في الأوقات السابقة، الأمر الذي أدى إلى إرهاق الميزانيات العمومية بتكاليف عالية ، وإعاقتها في نهاية المطاف بالكثير من الديون. هناك استثناءان بارزان هما شركة الهند الشرقية الإنجليزية، التي أصبحت قوية للغاية من حيث القوة والمال لدرجة أن البرلمان البريطاني طالب بتأميمها، وشركة هيدسون باي، التي باعت امتيازاتها السيادية إلى الحكومة البريطانية بعد تعرضها لانتقادات بسبب عدم استعمار كندا بشكل كاف، ولكنها لاتزال باقية كشركة حتى يومنا هذا.

يشير فيليبس وشارمان إلى أنه بعيدًا عن الهيمنة، لم يكن بوسع الشركات في معظم الوقت العمل إلا من خلال معاناة الحكام المحليين. حيث كان بإمكان المغول طرد البريطانيين من الهند في أي وقت قبل حوالي منتصف القرن الثامن عشر. وفي الواقع، كان تراجع المغول هو الذي أجبر شركة الهند الشرقية على السيطرة على

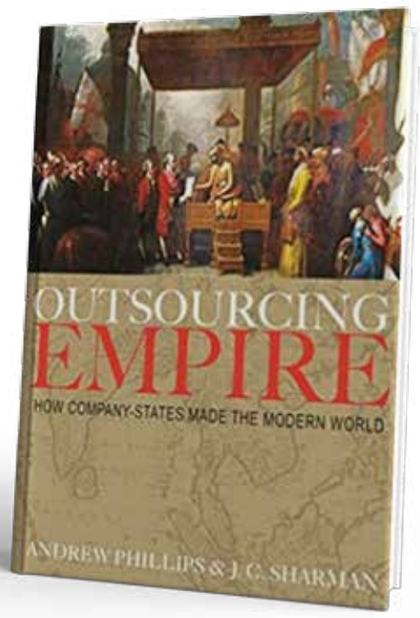


المنطقة المهمة، وهو الشيء الذي تجنبته بسبب التكاليف الباهظة التي ينطوي عليها ذلك. وفي سياق الأمريكيتين كان بإمكان الشركاء التجاريين من السكان الأصليين لشركة هودسون باي طردهم بسهولة من أمريكا الشمالية ولكنهم لم يفعلوا ذلك، فالفوائد قصيرة المدى لوجودهم تفوق الاعتبارات الإستراتيجية طويلة المدى.

من أكثر الأمور المثيرة للجدل في الكتاب، أن فيليبس وشارمان يعتقدان أن التفوق العسكري الغربي لم يكن القوة الدافعة للتوسع الأوروبي؛ حيث حفزت طبيعة الهيكل المؤسسي لشركات التعهيد السيادية على التعاون مع الشعوب الأصلية، وهو ما يتعارض مع الصورة المرسومة في العديد من الروايات حول هذه اللقاءات الحديثة المبكرة بين الثقافات. لاحظ فيليبس وشارمان أن مديري هذه الشركات سعوا إلى خفض التكاليف العسكرية والإدارية إلى أدنى حد حيثما أمكن ذلك. وبالنظر إلى هذه القيود، اعتمدت هذه الشركات على البراعة الدبلوماسية بدلا من البراعة العسكرية للفوز بالحلفاء المحليين. على سبيل المثال، تعلمت شركة الهند الشرقية الهولندية، المعروفة بوحشيتها، المفردات المحلية والتسلسلات الهرمية المحلية المحترمة في المجتمع. وقد حفزها الدافع الربحي على التعاون مع الأباطرة الآسيويين من أجل الحصول على المكانة والهيبة. وقد سمح رأس المال المعرفي والثقافي بإجراء الصفقات التجارية مع المسؤولين المحليين.

يقدم الكتاب تاريخا شاملا للبيئة التي مهدت لصعود وهبوط شركات التعهيد السيادية. ويشير المؤلفان، أن ظهور نظام عالمي من القانون الدولي الوضعي من أبرز القوى التي أدت إلى سقوط هذه الشركات. لسنين طويلة، قامت شركات التعهيد بترسيخ ترتيبات فريدة مع القادة المحليين والتجار في جميع أنحاء العالم من أجل زيادة سهولة ممارسة الأعمال التجارية. كانوا معروفين بأخذهم في الاعتبار عادات السكان الأصليين والتقاليد المحلية. وقد أدى ظهور القانون الدولي الوضعي إلى القضاء على هذه الترتيبات المخصصة بين الشركات والقادة المحليين. حيث لاحظ المؤلفان أن هذا النظام القانوني الجديد، لم يسمح بأي تنازلات ذات مغزى لعادات السكان الأصليين ومفاهيم الشرعية من النوع الذي دعم في السابق الصفقات المحلية بين الشركات والدول. في ظل هذا النظام العالمي، كان هناك أيضا تعصب متزايد للمؤسسات التي عكست الفجوة بين القطاعين العام والخاص. كما ساهمت صياغة علم الاقتصاد السياسي في تدهور شركات التعهيد، وبدأ الاقتصاديون السياسيون في شجب الفساد المرتبط بالاحتكارات لصالح اقتصاد يركز على التبادل الطوعي بين الفاعلين العقلانيين الفرديين.

يقدم الكتاب إضافة رائعة في الأدبيات المتعلقة بتفاعل الغرب وبقية العالم بعد الثورة الاستعمارية الأوروبية في آسيا والأمريكيتين؛ حيث يستفيض الكتاب في الدور الحاسم الذي تلعبه شركات التعهيد السيادية في إدارة العلاقات بين الثقافات في جميع أنحاء العالم. ومن المغري رؤية التناسخات الحديثة لشركات التعهيد السيادية في بعض الشركات متعددة الجنسيات الحديثة وكذلك الشركات الكبرى المملوكة للدول. وكما نرى، فالشركات الكبرى في قطاعات الغذاء والطاقة إلى التكنولوجيا اليوم، ظلت ولا تزال مندمجة مع سياسة الدولة.

---

- الكتاب: إمبراطورية التعهيد: كيف صنعت الشركات السيادية العالم الحديث
- المؤلف: J C Sharman , Andrew Phillips
- الناشر: Princeton University Press
- سنة النشر: 2020
- عدد الصفحات: 272 صفحة
- اللغة: الإنجليزية

*** كاتب عُماني**

# خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي والاقتصاد السياسي لأيرلندا: إنشاء تسوية اقتصادية جديدة

## بول تيج

عبد الرحمن الغافري *

في هذا الكتاب يطرح الكاتب أول دراسة في كيفية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وكيف أثر خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي بعمق على السياسة والاقتصاد في أيرلندا الشمالية.

لقد أدى خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إلى تحطيم التوافق السياسي الذي كان يتشكل في المنطقة، والذي تضمن القومية، والنزعة النقابية التي تمتنع عن السعي بقوة لتحقيق أهدافها الخاصة، أو فرض مطالب مفرطة على بعضها البعض. من الناحية الاقتصادية، جعلت مهمة بناء اقتصاد مبتكر في المنطقة أكثر صعوبة بما لا يقاس. دون تغيير جذري، من المتوقع أن تكون أيرلندا الشمالية معبرا اقتصاديا لاقتصاد المملكة المتحدة الضعيف الأداء.

يقدم الكتاب تقييماً مفصلاً لعواقب اتفاقية بلفاست، ويبرز كيف يعرض خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي البلاد لخطر التقدم الذي تم إحرازه منذ التوقيع عليه في عام ١٩٩٨. ويقوم بإجراء تقييم نزيه للتغييرات التي قد تكون ضرورية لإنشاء اقتصاد إيرلندا الشمالية بشكل أقوى. من ناحية أخرى، تعتبر المطالب الخاصة بالتوحيد الفوري لأيرلندا، والتي يتم رفعها الآن بصوت عالٍ، وبإصرار من قبل القوميين والجمهوريين شديدة التعجل. في الجانب الآخر هناك اقتصادان في الجزيرة غير جاهزين بعد للوحدة الأيرلندية. من ناحية أخرى، يناقش الكتاب قضية إعادة توجيه جذرية لاقتصاد أيرلندا الشمالية من خلال الإنشاء التدريجي لاقتصاد إيرلندا بالكامل.

اتخذت تجربة الانتخابات العامة لعام ٢٠١٩ في أيرلندا الشمالية مسارا مختلفا تماما عن تجربة بقية المملكة المتحدة، وفي الواقع، عن نمط السياسة الانتخابية النموذجي للمنطقة. بعد ما يقرب من ثلاث سنوات مع عدم وجود حكومة مفوضة عاملة، إلى جانب الخلاف الشديد وعدم اليقين بشأن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، كان الناخبون مستعدين لإعطاء رسالة إلى أكبر حزبين. عانى كل من ساين فاين وديوب من خسائر في الانتخابات، وكانت النتيجة الرئيسية هي أن النقابية لم تعد تمتلك غالبية المقاعد لأيرلندا الشمالية في وستمنستر. بشكل عام، كان هناك تأرجح من كلا الجانبين نحو التصويت على الأرض المركزية، والذي حقق مكاسب كبيرة لحزب التحالف وحزب الديمقراطية والتنمية. يلخص هذا الكتاب أسباب هذا الاتجاه الواسع، مع التركيز على الشروط والمواثيق الانتخابية التي أدت إليه. كما يأخذ في الاعتبار ما قد يعنيه ذلك بالنسبة لآفاق الوحدة الأيرلندية، مشيرا إلى أن الاستفتاء على التوحيد لن يتم تمريره؛ إلا من خلال جذب أصوات أولئك الذين يميلون إلى اعتبار أنفسهم غير وحدويين أو قوميين.

هناك إجماع كامل تقريباً في الأدبيات الدولية، على أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، سيكون له تأثير سلبي على اقتصاد المملكة المتحدة، على المدى القصير والطويل. تعد المملكة المتحدة من أقرب الشركاء الاقتصاديين لأيرلندا، ولا يُعرف الكثير عن التأثير الاقتصادي الكلي المحتمل، الذي قد يحدثه خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي على الاقتصاد الأيرلندي. في هذه الكتاب، يستخدم المؤلف COre Structural MOdel للاقتصاد الأيرلندي (COSMO) لمحاولة تحديد التأثير المتوسط إلى المدى الطويل لبريكست على الاقتصاد الأيرلندي، في إطار سلسلة من السيناريوهات البديلة. تهدف هذه السيناريوهات إلى تغطية مجموعة من الاتفاقيات المحتملة بين المملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي. نجد أن مستوى الإنتاج الأيرلندي أقل بشكل دائم مما كان يمكن أن يكون لولا خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

يخترق الكتاب الخطاب الذي يُميز الكثير من النقاش حول اقتصاد أيرلندا الشمالية، ويقدم تقييماً صارماً ليس فقط لهيكله وأدائه، ولكن أيضاً للجدوى الاقتصادية للوحدة الأيرلندية. من الناحية الاقتصادية، كانت البلاد في مؤخرة المجموعة الأوروبية، وتعاني من ناحية ارتفاع معدلات البطالة والهجرة، ومن ناحية أخرى الإنتاجية المنخفضة والنمو الاقتصادي الهزيل. كان يُنظر إلى النخبة التعليمية في البلاد على أنها مرتبطة جدا بالمهن والخدمة العامة، وليست كافية لإدارة الوظائف في القطاع العام. أما القطاع الخاص فقط حصل على تقدم سريع لما يقرب من نصف قرن، ولن يكون التحول أكثر اكتمالا. على عكس الاقتصاد المنغلق والانعزالية في الستينيات، تعد أيرلندا الآن واحدة من أكثر الاقتصادات انفتاحا على هذا الكوكب. وتشكل صادرات السلع والخدمات ٢٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي، بينما تبلغ واردات السلع والخدمات ٨٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي. لا يمكن أن يُعزى ظهور أيرلندا الأكثر علمانية وليبرالية إلى عامل واحد، ولكن يبدو أن نوعا من التعايش قد تشكل بين التحديث الاقتصادي والتحرير الاجتماعي.

لا يزال الفصل بين المساكن والتعليم راسخا، مما تسبب في انفصال المجتمعين عن بعضهما البعض. وأيضا لا تزال مستويات الطائفية غير المريحة تسود الحياة في المنطقة. اتفاقية بلفاست الموقعة في عام ١٩٩٨ مسؤولة عن ظهور أيرلندا الشمالية الجديدة والمسالمة. جرت مناقشة مستفيضة حول الطبيعة القانونية الدقيقة لاتفاقية بلفاست. وكان تراجع التصنيع الحاد والنمو الهائل في القطاع العام من السمات البارزة لاقتصاد أيرلندا الشمالية خلال سنوات الصراع. في الستينيات، قبل اندلاع العنف، كان للمنطقة قاعدة تصنيع ديناميكية إلى حد ما، مع نمو الإنتاج الصناعي بشكل أسرع بكثير مما هو عليه في المملكة المتحدة ككل. ترافق الانكماش الحاد في قاعدة التصنيع في المنطقة مع نمو سريع في نشاط قطاع الخدمات، حيث كان نصيب الأسد منه في القطاع العام. تعاملت الحكومات البريطانية المتعاقبة مع المسألة المثيرة للجدل المتمثلة في التمييز في سوق العمل ضد الكاثوليك بطريقة أكثر احتسابًا.

على الرغم من التقدم السياسي في أيرلندا الشمالية،

يمكن القول إن النظام السياسي قد يستقر تمامًا فقط عندما يعتبر سكانه أنفسهم «إيرلنديين شماليين»، بدلاً من مجرد مجموعات فرعية من الدول الأم البريطانية والأيرلندية. ربما أتاح تقاسم السلطة والسلام النسبي منذ اتفاقية الجمعة العظيمة لعام ١٩٩٨ إمكانية تطوير هوية إيرلندية شمالية مشتركة، للسماح بتوحيد كيان سياسي تواجهه أقسام من الأقلية القومية منذ تشكيله في عام ١٩٢١. قد تكون الطبيعة التوافقية للاتفاقية قد أضفت الشرعية على سياسات الهوية «المنفصلة، ولكن المتساوية» التي تم إنشاؤها على خط الصدع البريطاني مقابل الخطأ الأيرلندي. يختبر هذا الكتاب ما إذا كان هناك نمو كبير في أيرلندا الشمالية عبر المجتمعات منذ الاتفاقية، وهي قادرة على تآكل التنافس بين الطوائف.

من جهة أخرى، يقول الكاتب إن الإحساس بالمنظور يجب الحفاظ عليه بشأن مسألة الاقتصاد الأيرلندي بالكامل. ويستكشف طبيعة وحجم التعاون بين الشمال والجنوب، الذي تكشّف خلال العشرين عاما الماضية ويقدم تقييما للاعتماد الاقتصادي المتبادل الموجود الآن بين شطري الجزيرة. كما يشرح الكاتب بول تيج كيف أعيدت صياغة المواجهة السياسية بين القومية والنزعة النقابية، بشأن العلاقات بين جزئي الجزيرة خلال التسعينيات، وهو تطور مكّن من إدراج التعاون بين الشمال والجنوب في اتفاقية بلفاست. لا يصرح القوميون في كثير من الأحيان فقط بأن تطوير روابط أوثق بين جزأين من الجزيرة سيحقق فوائد متعددة، ولكن هناك حاجة أيضا إلى اتخاذ خطوات على الفور للاستيلاء على هذه المكاسب، وإلا ستستمر أيرلندا الشمالية في الإضرار بنفسها. بشكل عام، تشير وفورات الحجم إلى مزايا التكلفة التي تكتسبها المؤسسات عندما تصبح أكثر كفاءة.

في هذا الكتاب تداول الكاتب العواقب السياسية المحتملة لمغادرة المملكة المتحدة للاتحاد الأوروبي في أيرلندا الشمالية. فيما يتعلق بالسياسة، يجادل بأنه من المرجح أن يكون لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي تأثير عميق ليس فقط على السياسة الداخلية لأيرلندا الشمالية، ولكن أيضا على كيفية عمل اتفاقية بلفاست في المستقبل. كما يشرح الكتاب كيف أدى العنصر الأول من الاتفاقية في نفس الوقت إلى ظهور صفقة سياسية ناشئة في أيرلندا الشمالية بناء على مزيج غريب من تحالف «سياسة الردع» بين الحزب الاتحادي الديمقراطي، وشين فين وعملية غير رسمية للتحديث الاقتصادي والاجتماعي. كما يجادل بأن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وجه ضربة قوية لهذه الصفقة السياسية الداخلية الناشئة: على الرغم من تآكل تحالف الردع بين القومية والنقابات، يُقال إن خروج بريطانيا من الاتحاد

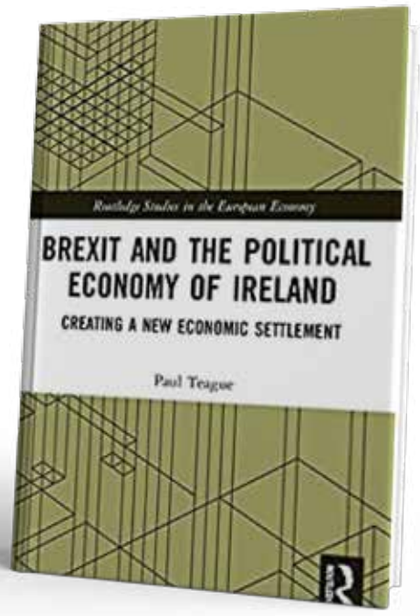


الأوروبي دفع أيرلندا الشمالية إلى الاقتراب مما يسمى حرب استنزاف أولستر.

يستكشف هنا الكاتب التحديات المنتظرة، ويجب تثبيت بوصلة السياسة على تطوير اقتصاد أقوى في أيرلندا بالكامل. يستعرض تقييمات تأثير خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي على اقتصاد أيرلندا الشمالية. يشرح هنا الكاتب سبب اقتراب الحفاظ على حدود مفتوحة في أيرلندا، من إفشال مشروع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بأكمله. يقوم بتقييم طبيعة بروتوكول أيرلندا / أيرلندا الشمالية الذي تم إبرامه كجزء من اتفاقية انسحاب المملكة المتحدة للحفاظ على حدود مفتوحة خالية من الاحتكاك في أيرلندا. يطور الكتاب الحجة القائلة بأن البروتوكول لديه القدرة على توليد منافسة تنظيمية أو تعاون، أو ربما كليهما بين جزأي أيرلندا. تم أيضا تقييم تأثير خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي على سوق العمل في أيرلندا الشمالية. من سمات سوق العمل في المنطقة على مدى العقدين الماضيين الاستخدام المتزايد للعمالة المهاجرة في أجزاء كثيرة من الاقتصاد.

كما يستكشف هذا الكتاب أيضا مصداقية اقتصاديات الوحدة الأيرلندية. ويجادل بأن التحركات الإضافية والحاسمة نحو بناء اقتصاد شامل للجزيرة يجب أن تتم بوتيرة متسارعة. يجب أن تكون نقطة البداية لأي تقييم لجدوى اقتصاديات الوحدة الأيرلندية، هي المالية العامة لأيرلندا الشمالية. الإعانة الكبيرة من وزارة الخزانة بالمملكة المتحدة المطلوبة سنويا للحفاظ على مستويات المعيشة في أيرلندا الشمالية كانت منذ فترة طويلة الحجة القوية للنقابات ضد أيرلندا الموحدة. تحدد وزارة الخزانة الإنفاق العام في أيرلندا الشمالية - الذي يشار إليه عادة بمنحة الكتلة - من خلال ما يعرف بصيغة بارنيت، التي سميت على اسم نظير حزب العمال اللورد جويل بارنيت، السكرتير الأول لوزارة الخزانة في أواخر السبعينيات، والذي أشرف على ذلك.

في سياق المناقشات حول اقتصاديات الوحدة الأيرلندية، هناك فرق مهم يجب القيام به، وهو بين الإنفاق العام القابل للتحديد وغير القابل للتحديد. يقدم هذا الاستنتاج بعض الأفكار الختامية حول المفاهيم التي تم تناولها في الفصول السابقة من هذا الكتاب. يجادل الكتاب بوجود إجماع واسع على أن اقتصاد أيرلندا الشمالية يعاني من العديد من المشاكل، ويؤكد أن إنشاء إيرلندا موحدة في أي وقت في المستقبل القريب من خلال نوع من التسوية الدستورية من شأنه أن يجلب كارثة اقتصادية، ناهيك عن عدم الاستقرار السياسي الخطير. يطور الكتاب القضية لبرنامج تدريجي، لكنه حاسم، لتجديد اقتصاد أيرلندا الشمالية. ويقيم تحليلا حديثا لاقتصاد أيرلندا الشمالية، يدعو فيه إلى إصلاح النظام الإقليمي لتنمية رأس المال البشري. كما يستكشف الكتاب سلسلة من الاستراتيجيات الاقتصادية التي سعت، دون جدوى إلى حد كبير، إلى هندسة اجتياز المنطقة من نشاط اقتصادي منخفض الإنتاجية إلى مرتفع. ويصف البداية المتزامنة لـ «المشاكل» وتراجع التصنيع خلال السبعينيات من القرن الماضي، والتي تباطأت إلى تدفقات ضئيلة من الاستثمار الداخلي إلى المنطقة.

ومن وجهة نظري الشخصية، أرى بأن هذا الكتاب يعطي دلالات واضحة وقوية على تأثر الاقتصاد في أيرلندا الشمالية، ويمكن الاستدلال بتجربة أيرلندا الشمالية في العديد من الدول الأخرى؛ لتجنب حدوث مثل هذه الأزمات والمشاكل، التي نتجت عن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

---

- اسم الكتاب: خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي والاقتصاد السياسي لأيرلندا: إنشاء تسوية اقتصادية جديدة
- المؤلف: بول تيج
- اللغة: اللغة الانجليزية
- عدد الصفحات: 154 صفحة
- دار النشر: روتليدج للنشر والتوزيع

*** كاتب عُماني**

# من الممكن الوصول إلى عالم أكثر عدلا

## رجب طيب أردوغان

صلاح خيراني *

**يشير السيد رجب طيب أردوغان في كتابه هذا، إلى أنَّ العدالة هي واحدة من أكثر القضايا المطلوبة في جميع أنحاء العالم اليوم، وأن المؤسسات المسؤولة عن إقامة العدل العالمي للأسف تعاني من حالة جمود كبير.**

ويكشف الكتاب عن الظلم والتمييز وازدواجية المعايير في العالم بنموذج الأمم المتحدة. ويلفت الانتباه بشكل خاص إلى الحاجة إلى إصلاح شامل لمجلس الأمن، «الذي لايخدم بحسبه سوى مصالح البلدان الخمسة، التي تتمتع بحق النقض». ويؤكد أردوغان أنه من الممكن إقامة عالم أكثر عدلاً، من خلال اقتراح إصلاح شامل وقابل للتطبيق لهيئة الأمم المتحدة. ويرى بأن الممارسات المعادية للإسلام محمية من قبل الحكومات في بعض الدول، وأن محاولة إضفاء الشرعية عليها من خلال القوانين، تشير إلى خطورة التهديد الذي تواجهه البشرية. ويؤكد أردوغان أن «العالم أكبر من خمسة»، وعليه يجب إنشاء نظام يكون فيه الحق قويًا، لا أن يكون فيه الأقوياء على حق.

يقدم الكتاب اقتراحاً لإصلاح وإعادة هيكلة الأمم المتحدة، إذ يشير أردوغان في كتابه هذا إلى أنَّ هيئة الأمم المتحدة بدأت تتحول تدريجياً إلى منظمة مختلة وظيفياً يتم تجاهل سلطتها ويختفي تأثيرها تدريجياً. والأسوأ من ذلك، أنَّ الأمم المتحدة تتحول إلى منظمة يتم التشكيك في شرعيتها يومًا بعد يوم. ويقول بأن هروبها عن بعض المسؤوليات لا يعود تاريخه إلى يومنا هذا فحسب، بل هو يعود لعقود مضت حينما لم تكترث بالمجازر التي شهدتها حرب البوسنة في تسعينيات القرن الماضي، وعدم قدرتها على منع المذبحة الرواندية والتي تعد كوصمة عار في تاريخ المنظمة الأممية. وتظهر الأحداث التي وقعت بسبب المشاكل والنزاعات في فلسطين وسوريا والعراق وأوكرانيا والعديد من المشاكل الأخرى أنَّ الهيكل الدولي الحالي لا يمكن أن ينتج العدالة والحلول للأمم؛ حيث يوضح أردوغان الكيفية التي يراها من منظوره مناسبة لإعادة هيكلة وتجديد هيئة الأمم المتحدة وفق عناصر عدة كما قسمها في كتابه نوردها فيما يلي:

إعادة هيكلة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وتحقيق هيكل تمثيلي أكثر عدلاً:

يطالب أردوغان في هذا الجزء من كتابه بتغيير جذري لمجلس الأمن، ويرى أنه مثلما فشلت «عصبة الأمم» التي أُنشئت بعد الحرب العالمية الأولى، في أداء واجبها وكانت مجرد متفرج في العملية التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية، فإن استمرار الهيكل الحالي لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قد يقود العالم إلى معاناة جديدة ودمار عظيم. فعلى الرغم من تعريفه لمنظمة الأمم المتحدة بأنها «منظمة عالمية تهدف إلى توفير العدالة والأمن والتنمية الاقتصادية والمساواة الاجتماعية لجميع البلدان»، إلا أنها في نظره غير فعالة في تلبية متطلباتها. لأن مجلس الأمن بهيكله الحالي أصبح يخدم سياسات خمسة أعضاء دائمين فقط بدلاً من السلام والعدالة العالميين.

ويؤكد بأن التوزيع في عضوية المجلس بين الدول غير عادل، فمن حيث القارات فإن الأعضاء الرئيسيين الحاليين في مجلس الأمن هم من آسيا وأوروبا والأمريكيتين، وفيما يتعلق بالجماعات الدينية، فإن الأعضاء الدائمين في المجلس هم في الغالب مسيحيون. ولا يتم تمثيل المسلمين وهم إحدى الجماعات الدينية المهمة في العالم، ولا الأديان الأخرى ذات الأعداد الكبيرة في المجلس، فيرى بأن منظمة التعاون الإسلامي مثلا، التي تضم ٥٧ عضوا وتشكل ثلث سكان العالم للأسف ليس لها وزن أو تمثيل في هذه الآلية الهامة. ومن حيث الأصل؛ فإن دول العالم الرائدة مثل الدول العربية والتركية والهندية والإندونيسية والأفريقية ليس لها أي تمثيل في المجلس، ويشير بأنه لا يكون للأعضاء المؤقتين المنتخبين لمدة عامين دور مهم في قرارات المجلس.

### المآزق التي وقعت فيها السياسة العالمية الحالية:

يعتبر أردوغان بأن السياسة العالمية مرت بتغير وتحول مهمين في السنوات الأخيرة، وعلى وجه الخصوص أدى وباء كورونا العالمي إلى تسريع هذا التحول وإيصاله إلى نقطة أكثر خطورة من ذي قبل. وبهذا المعنى فقد أثر وباء كورونا بشدة على عملية التحول التي كانت تجري في النظام الدولي منذ نهاية الحرب الباردة.

ويشير إلى أن وباء كورونا حوّل الأزمة الحالية للسياسة العالمية إلى اتجاه جديد، وبدأ النظام الدولي يطرح في كل موضع تساؤل، بدأ بسؤال «ماذا سيكون مستقبل النظام الدولي؟» الذي يطرح المزيد والمزيد من التكهنات حوله، ومن هذه الأسئلة نذكر: من سيتولى قيادة العالم؟ ومن سيكون القوة الرائدة الجديدة؟ ومن سيقود الحوكمة العالمية؟ وما مصير تعدد الأقطاب في السياسة الدولية بعد وباء كورونا؟

### قضية شرعية الأمم المتحدة:

يعتقد الكاتب هنا بأنَّ هيئة الأمم المتحدة تواجه العديد من المشاكل المستعصية، ومن أهم مشاكل الأمم المتحدة مشكلة الشرعية، فهذه المشكلة تاريخية وتتعلق بالمشاكل الحالية للأمم المتحدة، ويؤكد بأن مصدر المشكلة هو مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. ويرى أن القضية أصبحت معقدة للغاية حيث ستتدخل الأمم المتحدة إلى الحد الذي ستزيل فيه السلطات السيادية للدول الأخرى، على سبيل المثال فيما يتعلق بتدخلها في العراق عام ٢٠٠٣ فبالرغم من أن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لم يجد حقيقة لمزاعم الإدارة الأمريكية آنذاك القائلة بأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية احتلت العراق متجاهلة بذلك قرارات هيئة الأمم المتحدة في هذا الخصوص، وهذا ما يؤثر حتماً في شرعية هيئة الأمم المتحدة ومصداقياتها.

### مشكلة العدالة العالمية:

من خلال رصد هذا الجزء من الكتاب يرى أوردغان بأن العالم يواجه مشكلة خطيرة للغاية تتعلق بالعدالة العالمية سببها نظام الأمم المتحدة، فعندما قدم الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون اقتراحًا لإنشاء عصبة الأمم في الربع الأول من القرن العشرين كان الهدف هو كبح جماح النزاعات بين الدول وإحلال السلام العالمي. لكن لسوء الحظ فإنَّ الدول الغربية التي بنت ودعمت عصبة الأمم لم تلتزم بوعدها سعيًا وراء أهدافها الإمبريالية، ففي النظام الذي بنوه على مبدأ الالتزام بحماية الضحية من المعتدي لا يمكنهم فعلياً حماية الضحية أو وضع حد للمعتدي، على العكس من ذلك فقد فضلوا أن يكونوا عدوانيين، وكانت لهذه الأخطاء نتيجتان خطيرتان مثل موت ٥٠ مليون شخص والاستخدام المتعمد للأسلحة النووية، وهي وصمة عار على الإنسانية جمعاء وبالأخص الدول الإمبريالية المتسببة في ذلك.

يورد أردوغان هنا أنَّ العالم يواجه كل يوم تهديدات ومشاكل وتحديات جديدة مثل الجريمة المنظمة والهجمات الإلكترونية والأمن الغذائي والصحة العامة العالمية وتغير المناخ والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وكراهية الإسلام، والمسألة الفلسطينية ومشكلة الجفاف في منطقة القرن الأفريقي الذي يهدد الأمن والاستقرار الدوليين وكذلك التجارب النووية وتجارب الصواريخ الباليستية، وبينما ينبغي على المجتمع الدولي ممثلا في هيئة الأمم المتحدة المبادرة الحقيقية من أجل وضع حد لهذه المشاكل إلا أنه اختار أن يظل متفرجًا.

### أزمة اللاجئين:

في هذا الجزء من كتابه يفيد أردوغان بأن المجتمع الدولي يواجه أزمة هجرة غير مسبوقة، فاليوم هناك ما يقرب من ٢٦٠ مليون مهاجر وأكثر من ٨٠ مليون نازح داخليا و ٢٥ مليون لاجئ في جميع أنحاء العالم، فمنذ عام ٢٠١٣ وقع ٢٠ ألف شخص معظمهم من النساء والأطفال ضحايا لأمواج البحر الأبيض المتوسط الهائجة ولقي الآلاف من الأبرياء حتفهم في مجاهل

الصحراء الكبرى.

كما يؤكد أنه من غير الإنساني محاولة معاقبة اللاجئين الفلسطينيين بالفقر والحرمان بقطع المساعدات عنهم، وتكميم أصوات المدافعين عن الديمقراطية والحقوق والحرية وعن حقوق النازحين واللاجئين الفلسطينيين. وأن حل مشكلة اللاجئين لا يكمن في إغلاق الأبواب أمامهم وإقامة الأسوار والجدران الفاصلة على الحدود، لكن الحل الحقيقي لهذه الأزمة هو السماح للإدارات التي ستؤمن المستقبل السياسي والاقتصادي للشعوب في أوطانهم، والتي ستستمع إلى صوت ومطالب الشعب من أجل العيش الكريم والحرية.

مشكلة الإرهاب الدولي:

يتحدث الكاتب هنا عن مشكلة الإرهاب الدولي، التي توجب على المجتمع الدولي إعادة هيكلة الأمم المتحدة، ويفيد بأن الإرهاب أصبح مشكلة دولية أكثر من أي وقت مضى، بحيث كان الحادي عشر من سبتمبر نقطة تحول عندما واجه الشعب الأمريكي والمجتمع الدولي الوجه الوحشي للإرهاب، بعد ذلك استهدف تنظيم القاعدة الإرهابي بوحشية المدنيين في مدريد ولندن واسطنبول والعديد من عواصم العالم، وفي هذه البيئة التي يهدد فيها الإرهاب السلام العالمي، للأسف لم يتمكن المجتمع الدولي من وضع تعريف مشترك للإرهاب.

**معاداة الإسلام:**

يعتقد أوردغان أنه بالإضافة إلى تهديد الإرهاب الدولي فقد تحولت مناهضة الإسلاميين إلى قضية أمنية عالمية خطيرة للغاية، ولقد بات من الضرورة أن تزيد الأمم المتحدة من توعية الناس بخطر معادات المسلمين، وإذا غضت الأمم المتحدة الطرف عن هذه المشكلة فقد تظهر موجة جديدة من الرعب حينها ستجد البشرية صعوبة في السيطرة عليها وأنه لا يمكن اعتبار هذه الظاهرة التي يُنظر إليها على أنها كراهية الإسلام اليوم على أنها وعي نفسي قائم على الخوف، فما يواجهه المسلمون بالتحديد هو الإسلاموفوبيا والكراهية.

ويدعو أردوغان إلى ضرورة تسجيل العداء للإسلام والمسلمين كجريمة ضد الإنسانية تمامًا مثل معاداة السامية، وكما كافحت الإنسانية مع معاداة السامية بعد الهولوكوست يجب عليها أيضًا محاربة الإسلاموفوبيا المتصاعدة بنفس التصميم. ويرى بأن العالم بأسره بحاجة إلى محاربة هذه المشكلة وبذل جهود مشتركة وأن يتم الاعتراف بأن ردود الفعل المعادية للإسلام وكراهية الأجانب والعنصرية تزيد من حدة المشكلة، ويؤكد على أنه لا أحد يستطيع أن يجمع الإسلام والإرهاب في مفهوم واحد أينما كانا، ولا أحد يستطيع أن يستخدم الإرهاب كصفة للإسلام، ولا يحق لأحد أن يفعل ذلك.

**مشكلة الأمم المتحدة من حيث الوظيفة والكفاءة:**

يطرح أردوغان في هذا الجزء من كتابه بأن مآزق النظام العالمي المتمركزة حول الأمم المتحدة لا تقتصر على المشاكل التي يسببها الإرهاب الدولي، بل إنها تتعداه إلى ذلك الجمود في وظائف هيئة الأمم المتحدة المؤدية حتما إلى ظهور مشكلة عميقة للحوكمة العالمية، هذا الجمود يجعل الأمم المتحدة غير فعالة في تحقيق العدالة ويدمر وظيفتها الأساسية. ويجب أن تلعب الأمم المتحدة دورًا نشطًا في الحل العادل والمنصف للمشكلات العالمية

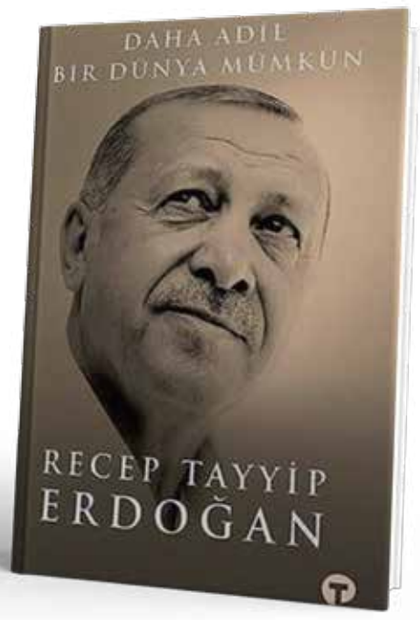


ولن يتأتى ذلك إلا بإصلاحها. ويؤكد بأنه يجب على الجميع التكاتف من أجل التشارك في عملية إصلاح هيئة الأمم المتحدة، وبأن أولى خطوات الإصلاح تبدأ بإزالة حق النقض «الفيتو» الذي تحظى به خمس دول فحسب، لأنه من غير المعقول أن يترك مصير كل العالم بين يدي هذه الدول الخمس، ويضيف بأنه لا يمكن أن يكون هناك سلام في عالم يكون فيه الأقوياء دائماً هم على حق، بل إن المجتمع الدولي بحاجة إلى جعل نظام الأمم المتحدة أكثر عدلاً حتى يعمل حقًا. ويرى أردوغان بأن الطريقة الأكثر فاعلية لعكس هذه الصورة السلبية هي التعاون الصادق الذي سيكون تحت مظلة الأمم المتحدة، كما يضيف أن القضية الفلسطينية من أبرز الأمثلة التي تم فيها جعل الأمم المتحدة غير فاعلة وعاجزة عن أداء وضيفتها، وبأن إسرائيل لم تلتزم ولن تلتزم بأي قرار من قرارات الأمم المتحدة التي تصب في مصلحة الفلسطينيين وتواصل انطلاقا من مبدأ «قانون القوي» بالتعنت ومواصلة احتلالها للأراضي الفلسطينية وتهويد القدس والمقدسات الإسلامية، كما يشير إلى أن القرار الأمريكي القاضي بنقل السفارة الأمريكية بإسرائيل إلى القدس لا يتوافق مع القانون الدولي والضمير والعدالة والحقائق الإقليمية، وأن هذا القرار وجه أكبر ضربة لمجلس الأمن الدولي الذي تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في عضويته.

**مشكلة الحوكمة العالمية:**

يرى أردوغان أن الأمم المتحدة هي إحدى الديناميات الأساسية للحوكمة العالمية، ومع ذلك لا يمكن للمنظمات الدولية التابعة لها أن تساهم بشكل كاف في ظهور الحكم العالمي الرشيد، كما تؤثر مشاكل مماثلة في الأمم المتحدة على المؤسسات الدولية الأخرى. لقد أصبح الظلم والاختلال الوظيفي من أبرز سمات هذه المؤسسات؛ لذا يدعو أردوغان إلى تطبيق العدالة أولاً، من أجل السلام والاستقرار العالميين، ويضيف بأن من ركائز الحوكمة العالمية الركيزتين السياسية والأمنية، والأمم المتحدة بالطبع هي منظمة سياسية لكنها منظمة أساسية في ضمان السلم والأمن الدوليين، كما واجهت المنظمات الدولية ذات الصلة بالأمن تحديات خطيرة في سياق الحوكمة الأمنية.

في الختام وبالاستناد إلى ماطرحه أردوغان من أفكار سياسية واقتصادية وإنسانية تصب جلها في تدعيم مقترحه التجديدي لنظام هيئة الأمم المتحدة، نرى أن أطروحته تؤكد بأن المجتمع الدولي اليوم يواجه الأزمة التي سببتها هذه الفوضى الناجمة عن الفساد الذي ينخر الهيئات الأممية، كما ينبغي أن تتبنى البشرية فهمًا جديدًا من شأنه أن يرسخ العدالة والسلام والاستقرار على الصعيد العالمي أو أنها ستغرق في وحل التيار العالمي الحالي. ويعتقد بأن العالم ينتقل من نظام أحادي القطب إلى نظام عالمي جديد، وبه ينبغي ترسيخ نظم جديدة تتوافق مع حقائق هذا العالم الجديد، ويعتقد أردوغان أن النظام العالمي الجديد يشير إلى تحول النظام الجغرافي السياسي المتمركز في أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين إلى الشرق، وبأن النظام العالمي يتحرك بسرعة بعيدًا عن التمركز حول الغرب. وفي مثل هذه العملية فإن الحفاظ على الأمم المتحدة في شكلها الحالي يتعارض مع الديناميكيات الجيوسياسية والجيواقتصادية والجيوثقافية للعصر الجديد. ويشدد على عدم نجاح أية جهود إصلاحية دون إزالة حق النقض«الفيتو»، ولهذا السبب من الضروري ترك جميع القضايا الخلافية الأخرى جانبا والتركيز على حق النقض وتعبئة المجتمع الدولي حول هذا القضية. ويمكن أن تكون فكرة أردوغان القائلة بأن «العالم أكبر من خمسة» بمثابة نقطة انطلاق ومنطلق للإصلاح.

يعتبر هذا الكتاب الذي يحمل اقتراحات من أجل تجديد هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها التابعة لها، من أهم المؤلفات التي سلطت الضوء على الضعف الذي آلت إليه هيئة الأمم المتحدة في بنيتها ووظيفتها؛ فتراجع الأمم المتحدة أمر نبه إليه الكثير من رؤساء العالم، إلا أن أردوغان بكتابه هذا وضع النقاط على الحروف بعرضه تصورا وحلولا، نرى أنها أقرب للواقعية والتطبيق لو اتحدت الجهود الأممية من أجل مناقشتها والاستفادة منها وتطبيقها.

---

- الكتاب: من الممكن الوصول إلى عالم أكثر عدلا
- المؤلف: رجب طيب أردوغان
- مكان النشر: إسطنبول
- تاريخ النشر: سبتمبر2021
- اللغة: التركية
- عدد الصفحات: 216 صفحة
- دار النشر: توركواز كتاب Turkuvaz kitap

*** باحث جزائري في تاريخ الشرق الأوسط السياسي والعلاقات الدولية**

# إنسانية محمد، وجهة نظر مسيحية

## كرايغ كونسيدين

التجاني بولعوالي *

**يندرج كتاب «إنسانية محمد، وجهة نظر مسيحية» لمؤلفه اللاهوتي الأمريكي من أصل إيرلندي كرايغ كونسيدين في ذلك التيار الفكري الجديد الذي يتعاطى مع قضايا الإسلام بموضوعية وإنصاف، مُشكّلا قطيعة معرفية ومنهجية سواء مع الدراسات الاستشراقية التقليدية أو مع الأفكار الشعبوية المعاصرة.**

### مقدمة

يقرّ الباحث أن تأليف هذا الكتاب جاء بغرض مد جسور متينة للتفاهم والسلم بين النصارى والمسلمين، والرقي بإنسانيتنا المشتركة، والذود عن النبي محمد، الذي يُصوّر لدى العديد من النصارى عبر التاريخ على أنَّه النقيض ليسوع المسيح. وقد توصل الكاتب أثناء العقد الأخير إلى أن اللائقة تنتشر على نطاق واسع بين النصارى والمسلمين، وأنها غير ضرورية لأنها تتعارض مع تقاليدنا الإبراهيمية المشتركة. ولعل هذا الكتاب من شأنه أن يكشف عن أن النصارى والمسلمين يجمعهم تاريخ طويل من العلاقات الأصيلة التي تتأسس على المثل والمبادئ المشتركة، وأن السبب الجوهري لتكوين هذه العلاقات الإيجابية كان (وما يزال) سيرة محمد نفسه وتراثه الإنساني. ويضيف كونسيدين أن عقيدته النصرانية تحفزه على أن يتفاعل مع الدين الإسلامي والمسلمين أنفسهم على أساس الاحترام والرحمة والسلم؛ فالنصارى يبتعدون كلياً عن تعاليم يسوع إذا لم يجسدوا ويعكسوا هذه التعاليم في حياتهم اليومية.

إن كتاب «إنسانية محمد» تم تأليفه بروح موضوعية عالية في مقابل التيار الفكري العام الذي يُنمّط الإسلام بصيغة سلبية، ويقدم النبي محمد بشكل مغلوط يتنافى مع ما هو مسجل في المصادر التاريخية المبكرة سواء الإسلامية أو غير الإسلامية. ولعل مرد قيمة هذا المؤلَّف إلى أنه صادر من الداخل المسيحي الغربي بأسلوب نقدي موجه إلى المسيحيين المعاصرين بالدرجة الأولى، ويحمل مختلف الرسائل الإيجابية حول الإسلام ورسوله العظيم تختلف جملة وتفصيلاً مع ما تروجه وسائل الإعلام المؤدلجة وما يسوقه السياسيون والمثقفون الشعبويون. ولا يمكن تحقيق التقارب المنشود بين النصارى والمسلمين من جهة وبقية العالم من جهة أخرى إلا بالمعرفة الموضوعية غير المزيفة حول محمد بكونه شخصية عظيمة في التاريخ الإنساني، وبكونه نبياً مرسلاً وموحى إليه من الله كغيره من الأنبياء السابقين، كما يشدد كونسيدين. وأكثر من ذلك، فمحمد يعتبر تاريخيا ودينيا أبلغ أنموذج للإنسانية بما يحمله من قيم الرحمة والعدل والصفح والصبر وغيرها، فهو يمنح كافة الناس، بما في ذلك اليهود والنصارى، كل الإمكانيات ليعيشوا جنباً إلى جنب في سلم وانسجام. وتتوزع الكتاب ستة فصول ومقدمة وملاحق مهمة تتضمن مختلف الاتفاقيات التاريخية سواء بين المسلمين وأهل الكتاب أو الدولية المعاصرة.

### بين التسامح والتعددية الدينية

يستعير كونسيدين ما قاله الكاتب وعضو الكينست اليهودي السابق أوري أفينيري الذي اعتبر أنَّ «الأندلس الإسلامية» كانت «فردوسا لليهود»، وأنه لم يحدث على الإطلاق أي هولوكوست يهودي في ظل الحكم الإسلامي، لأنَّ النبي محمد وضع منذ البداية شرطا مهما، وهو التعامل السمح مع أهل الكتاب، وهذا الشرط كان أكثر ليبرالية بالمقارنة بما هي عليه أوروبا المعاصرة. بالإضافة إلى ذلك، فالقرآن بكونه الإطار المرجعي للقانون الإسلامي منح أتباع الأديان التوحيدية وضعية خاصة، حيث تتمتع الأقليات الدينية بالحماية الاجتماعية وبحق الممارسة الدينية. ثم إنَّ المسلمين ملزمون برعاية هذه المجموعات من أي عنف أو تهديد داخلي أو خارجي على حد سواء.

ويعتقد الكاتب أن هذا التعاطي مع أهل الكتاب يندرج فيما يطلق عليه التعددية الدينية التي تعتبر أعلى درجة من التسامح الديني، الذي يقتصر على حماية هوية الآخر كما هي، في حين أن التعددية تقرب بين مختلف مكونات المجتمع، وتعلم الناس أن رفاهيتنا تتعلق برفاهية كافة أعضاء المجتمع. وهكذا فإن التسامح يعيد إنتاج الأنماط القديمة والتقسيمات التقليدية لفئات المجتمع، لأنها في طبيعتها متحفظة، أما التعددية فتحفز على التفاعل الاجتماعي الخالص، وبناء العلاقات الأصيلة، والبحث الفاعل عن فهم عقائد وطقوس الآخرين، وتحقيق التلاقي الملموس، وفي الأخير إرساء الحوار المتبادل الذي يعني الحديث وفي الوقت نفسه الإصغاء. ويرى كونسيدين أن كل هذه الشروط التي تضعها التعددية الدينية المعاصرة كانت حاضرة في تعامل النبي محمد مع أهل الكتاب، سواء مع نصارى نجران الذي سمح لهم بالصلاة في المسجد، أو بين المسلمين وملك الحبشة النصراني «النجاشي»، أو غيرهما.

### دولة المدينة المدنية

استطاع نبي الإسلام أن يؤسس دولة مدنية في زمن قياسي في سياق جغرافي خاص، لم يسبق مثلها لدى الأمم الأخرى، بل أيضاً على أساس ديني توحيدي فاجأ اليهود والنصارى. وقد امتدت دولة الإسلام بشكل خارق إلى أبعد البلدان والمناطق في العالم المتحضر. وتنطبق طبيعة دولة المدينة أو الأمة على مفهوم الدولة المدنية التي تعني المجتمع الذي يُعتبر فيه المواطنون متساوين في الحقوق، وتوحد بينهم رابطة وطنية تنظمها مجموعة من الممارسات والقيم السياسية. وهذا ما ينطبق بشكل كبير على صحيفة المدينة التي أسست لدولة مدنية لم يشهدها التاريخ الإنساني من قبل، حيث يتمتع الجميع؛ مُسلمين ويهودا ونصارى بالحقوق المدنية نفسها في أمة جامعة توحد الجميع على أساس وطني لا قبائلي أو ديني. وتشكل الحرية الدينية جوهر هذا المجتمع التعددي، حيث كل مجموعة يمكن لها الحفاظ على شعائرها الدينية، ولا تجبر على الدخول في الدين الجديد، كما يُؤكد ذلك القرآن نفسه، حيث لا إكراه في الدين.

ويقارن الكاتب بين ما قام به النبي محمد والآباء المؤسسون للولايات المتحدة الأمريكية، الذين كانوا يحملون الرؤية نفسها، لاسيما فيما يتعلق باحتضان التنوع في مختلف أشكاله. وقد جاء في وثيقة المؤتمر الثاني الذي انعقد في ٤ يوليو ١٧٧٦ في فيلاديلفيا، وكانت أيضاً بمثابة الإعلان الرسمي عن الاستقلال عن التاج البريطاني، أن الأمريكيين يحفظون هذه الحقائق لتكون بديهية، وأن جميع الناس خلقوا متساوين، وأن خالقهم منحهم حقوقًا معينة غير قابلة للتصرف، ومن بينها الحياة والحرية والسعي وراء السعادة.

### مناهضة العنصرية

يقدم كونسيدين محمدا بكونه أنموذجاً لمكافحة آفة العنصرية، وأنه على الإنسانية الاحتذاء به لمناهضة اللامساواة والتمييز العنصري، كما أنه يعتبره أول مناهض للعنصرية عبر التاريخ وفي العالم. ويستدعي الكاتب مختلف الأمثلة من حياة النبي، ليؤكد هذه الفرضية، وأهمها صداقته مع بلال ابن رباح، الذي كان في الأصل عبدا حبشيا، لكنه أصبح لاحقا أحد أهم قادة مجتمع الأمة. وعندما عيره أحد كبار الصحابة، وهو أبو ذر الغفاري، بأنه ابن السوداء، كان رد النبي عليه مفحمًا: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، والجاهلية هنا لا تحيل كما في اللغة على عدم معرفة القراءة والكتابة، بل تشير إلى مرحلة ما قبل الإسلام التي كانت تتسم بالعنصرية. وعندما أقبل بعض الإخوة على النبي لاقتراح زوج صالح لأختهم، فاقترح عليهم بلال الحبشي المرة الأولى والثانية والثالثة، رغم استغرابهم لذلك، وعدم تقبل هذا الاختيار الذي يتعارض مع التقاليد الجاهلية. فالنبي كان يعلم هذا الرعيل الأول من المُسلمين أن الزواج يتأسس على شخصين: رجل وامرأة، وليس على عرقين أو ثقافتين، وأن مؤسسة الزواج لا ينبغي أن تخضع لأفكار التفوق العنصري، كما يستخلص صاحب الكتاب اللاهوتي كونسيدين.

ثم إن الكاتب يستحضر خطبة الوداع التي كرست قيمة المساواة بين بني البشر بغض النظر عن أصولهم العرقية وألوان بشرتهم، فالفارق الجوهري بين الناس هو العمل الصالح وتقوى الله. ولعل هذه القصص حول المساواة ومناهضة العنصرية من شأنها أن تمنحنا الكثير من الأمل للمستقبل، لأنها تذكرنا بأن الناس، بكونهم جزءا من الخلق الإلهي، يوحد بينهم المشترك الإنساني على حساب العرق والإثنية. وكما اتضح لنا من خلال تقاليد النبي محمد والمسلمين الذين اقتفوا سنته، فإن الدين الإسلامي يمتلك القدرة على تغيير العلاقات العرقية بشكل جذري هنا في العالم.

### طلب العلم

يظهر أن الإسلام يعتبر الدين الأكثر اهتمامًا بفضيلة طلب العلم مقارنة مع غيره من الأديان والفلسفات، حيث مفهوم المعرفة يحضر بشكل لافت ومكثف في القرآن، ويشدد النبي محمد في مختلف الأحاديث والمناسبات على طلب العلم والتفكر والتأمل. ويعيب كونسيدين على الغرب إنكارهم للإسهام العلمي والحضاري المتميز الذي قدمه المسلمون للإنسانية عبر التاريخ. ويرد الكاتب على سام هاريس الذي زعم أنَّ الناشطة الباكستانية ملالا يوسف هي الشيء الأفضل الذي جاء من المسلمين خلال ألف سنة!، حيث قدم نماذج دامغة حول عدد من العلماء المسلمين الذي أثروا بشكل عميق في تاريخ العلوم الإنسانية سواء في الأندلس أو صقيلية أو مصر أو بغداد أو غيرها. وقد أشار الكاتب إلى أن أول جامعة في العالم منحت إجازات التخرج ودرست العلوم العلمانية إلى جانب العلوم الشرعية كانت من تأسيس امرأة مسلمة عام ٨٥٩ بفاس في المغرب، وهي فاطمة الفهرية، التي استثمرت ما ورثته عن أبيها في تأسيس جامعة القرويين. كما تعرض كونسيدين لبيت الحكمة الذي أسسه الخليفة المأمون في بغداد، وغير ذلك من الإنجازات الإسلامية التي ما يزال تأثيرها يمتد إلى حد اليوم.

وما يسترعي النظر أيضاً أن الكاتب يقدم إحصائيات مُهمة لعدد من الكتب التي كانت تزخر بها بعض المكتبات الإسلامية، ففي القرن العاشر كانت توجد في مدينة قرطبة على الأقل ٧٠ مكتبة، وأكبرها كان يتضمن ٦٠٠ ألف كتاب، بالإضافة إلى حوالي ٦٠ ألف وثيقة، وديوان شعر، ورسائل المناظرات التي كانت تنشر في إصدار سنوي. وأكثر من ذلك، كانت تحتوي مكتبة القاهرة على ١٠٠ ألف كتاب، في حين كانت تتضمن مكتبة طرابلس التي دمرها النصارى أثناء الحروب الصليبية على ثلاثة ملايين كتاب.

ويؤكد الكاتب أن ما تطرق إليه من اختراعات علمية وإنجازات معرفية من طرف المسلمين، إنما «تخدش» فقط سطح الإسهام الهائل الذي قدمه المسلمون، وشكل أساس تطور الحضارة الغربية والكونية فيما بعد.

### حقوق المرأة

إن قضية حقوق المرأة المسلمة حسب الشريعة تعتبر موضوعا يخضع لمختلف التخمينات. فوسائل الإعلام عبر العالم تميل إلى تصوير المرأة المسلمة بكونها ضحية للنزعة الأبيسية وسلطة الذكر. والقصص حول أحداث تراجيدية كقتلى الشرف، وختان البنات، وسوء معاملة المرأة المسلمة تفاقم الصور النمطية التي ترسخ كون الدين الإسلامي يزدري المرأة. في مقابل هذه الصور الشعبية، فالنساء المسلمات يستعملن تعاليم دينهن ويتبعن سنة

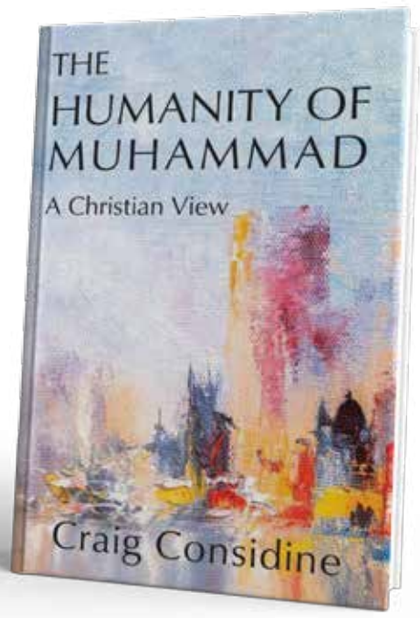


النبي محمد لتمييز أنفسهن كأعضاء أحرار ومستقلات في مجتمعاتنا (يقصد المجتمعات الغربية). يستحضر الكاتب في هذا الصدد المفكرة البريطانية كارن أرمسترونغ التي تذهب إلى أن القرآن أعطى المرأة حقوق الميراث والطلاق قرونا طويلة قبل أن تحقق المرأة الغربية مثل هذه الوضعية.

ثم إن الكاتب يقوض النظرة التقليدية الغربية عندما يثبت بالدليل النصي والتاريخي أن المرأة المسلمة أدت دورا رياديا أثناء تأسيس الدولة الإسلامية، فخديجة كانت شريكا جوهريا في تطور مسار محمد ليصبح نبي الله. أما عائشة فقد روت أكثر من ٢٠٠٠ حديث عن النبي، وثقت فيها مختلف المعاملات اليومية والسلوكيات الاجتماعية للنبي محمد، التي تشكل اليوم الأساس الأخلاقي للمجتمع الإسلامي، وظلت مدة طويلة بعد موت النبي تربي الأمة على هدي القرآن والسنة. لذلك فهي تعتبر عالمة ومفتية وقائدة وقاضية جمعت بين الجانب الروحي والقيادة والمعرفة، وهي تشكل بذلك قدوة للعديد من المسلمات ليس قديما فقط، بل في القرن الواحد والعشرين أيضا.

### القاعدة الذهبية

يعترف كونسيدين في كتابه أنه رغم امتداد الدولة الإسلامية عبر الفتوحات واستيلائها على مناطق استراتيجية كانت تابعة لبيزنطة النصرانية، إلا أن هناك من النصارى من كان يعتبر العيش في ظل الشريعة الإسلامية نعمة بالمقارنة مع العيش تحت السيادة البيزنطية. ويثبت الكاتب أن رؤية النبي محمد، كما يسوع المسيح، انبنت في الأصل على القاعدة الذهبية بكونها المبدأ الأفضل على الإطلاق في التعامل الإنساني، حيث يجب أن نعامل الآخرين كما نحب أن يعاملوننا. وقد انعكست هذه القاعدة الأخلاقية في مختلف القيم النبوية، كاحترام غير المسلمين، كما جاء في الحديث الذي قام فيه النبي احتراما لجنازة اليهودي، وعندما تساءل الصحابة: أليست جنازة يهودي، فرد عليهم: أليست نفسا!

كما أن النبي محمد كان رمزا للرحمة، لأنه أوقف الممارسات الدموية التي كانت تسود في مجتمع الجاهلية، كأخذ الثأر والانتقام وغيرها، وعندما دخل مكة فاتحا، لم يعاقب أعداءه من مشركي قريش، الذين أساؤوا إليه، وطردوه من مكة، وحاولوا اغتياله، بل قابلهم بالرحمة، وهو يقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء. ولا يمكن الحديث عن الرحمة في انفصال عن قيمة الحب، حيث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.

وهذا يدل على أنه يمكن تشبيه محمد إلى حد كبير بيسوع المسيح فيما يتعلق بمبدأ القاعدة الذهبية؛ فكلاهما علّم أتباعه من النصارى والمسلمين أن يتعاملوا مع الآخرين كما يريدون أن يتعامل الآخرون معهم. ولعل أفضل ما قاله محمد في هذا الصدد هو: «اعف عمن ظلمك، وصل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك». وهذا معناه أن الحفاظ على العلاقات الجيدة بين الناس يعتبر عنصرا أساسيا في هوية المسلم؛ لأن الشقاقات والتصرفات السيئة من شأنها أن تحطم الإنسانية. ويستطرد الكاتب مؤكدا مركزية النبي محمد الأخلاقية وهو يستوحي معاني الحديث النبوي الذي جاء فيه: «ألا أُخبِركم بأفضل من الصلاة والصيام والصَّدقة ؟ قُلنا: بلى يا رسول الله، قال إصلاح ذات البَين، وإفساد ذات البين هي الحالقة».

ويختم الكاتب حديثه بسؤال استنكاري من الأهمية بمكان مؤداه: تصوروا كيف سوف يصبح العالم لو أن كل الناس أصغوا إلى دعوة النبي النبيلة؟

خلاصة القول، إن اللاهوتي كراين كونسيدين يتبنى خطابا فكرياً يتسم بالمغايرة والنقد الذاتي والاعتراف بالآخر؛ فهو يختلف جذريا عن الدراسات الاستشراقية التقليدية، بل ويتجاوز أيضا الدراسات الغربية المعاصرة التي تبحث بشكل معياري وجدلي في أصول القرآن ونبوة محمد لاسيما عبر المنهج النقدي التاريخي. كما أنه يدعو النصارى إلى ممارسة النقد الذاتي، وإعادة النظر فيما ترسّب لديهم من صور نمطية قديمة حول الإسلام والنبي مُحمد، وهي في أغلبها مغلوطة تتنافى كلياً مع ما تنقله المصادر التاريخية عن نبي الإسلام. وفضلاً عن ذلك كله، فهو يعترف في كل موضع من الكتاب بكون محمد نبيا مرسلا وموحى إليه من الله، وما على النصارى إلا أن يسلموا بهذا الأمر ويستلهموا تعاليمه وتوجيهاته التربوية والأخلاقية والروحية التي تحمل خلاصا للإنسانية مما تتخبط فيه من فوضى وصراعات وقلق.

---

**معلومات الكتاب:**

**الكتاب: إنسانية محمد، وجهة نظر مسيحية**

**المؤلف: كرايغ كونسيدين**

**الناشر: بلو دوم بريس، نيو جيرسي**

**تاريخ النشر: 2020، باللغة الإنجليزية**

**عدد الصفحات: 180**

*** أكاديمي في جامعة لوفان في بلجيكا**

# إصدارات عالمية جديدة

## اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

### دليل صغير للمقاومة المعاصرة

المؤلف: سيريل ديون
الناشر: دار أكت سود، فرنسا
سنة النشر: 2021
عدد الصفحات: 242 صفحة
اللغة الفرنسية

في السنوات الأخيرة، تسارع كل شيء: تغير المناخ، العواقب الكارثية للانقراض الجماعي السادس، ولكن أيضًا إيقاظ الوعي الجماعي، وتحفيز الشباب على تبني القضايا البيئية، الأمر شبيه بهبة نجدة، لمواجهة الكارثة التي تحدث أمام أعيننا. نحن جميعاً، من الجنوب إلى الشمال، نواجه اضطرابات قد تصبح خطيرة ومستفحلة مثل حرب عالمية. وإذن، منطقياً نحن دخلنا أو نكاد مرحلة المقاومة. في هذا الكتاب الصغير الثاقب والعملي، يقدم سيريل ديون العديد من مسارات الفعل والعمل: الفردي والجماعي والسياسي. بل أكثر من ذلك، فهو يدعونا إلى اعتبار الوعي والتعبئة والعمل محركا رئيسيا لتطور المجتمعات والأجيال القادمة، من خلال الإدراك والحماس والإبداع ستطلق البشرية الطاقة اللازمة للنضال ومع الآخرين، وأنظمة بيئية مختلفة، ومع أنفسنا سنُحقق ونبني توازنًا جديدًا.

### المجتمعات في خطر تهديدات ومخاوف وتصورات وردود أفعال

المؤلف: كلوديا سنيك
الناشر: دار لاديكوفيرت، فرنسا
سنة النشر: 2021
عدد الصفحات: 238 صفحات
اللغة الفرنسية

لا بد من الاعتراف نحن اليوم وأكثر من أي وقت مضى أمام مخاطر بيئية واقتصادية وسياسية وجيوسياسية: لم تكن مجتمعاتنا مقتنعة أبدًا بأنها تتجه نحو سلسلة من الكوارث التي لا مفر منها تقريبًا. ولمواجهة هذه الأخطار، دائما تكون ردود الفعل مختلفة ومتنوعة. يحاول البعض، من خلال الخطابات التنبؤية، وإثارة التعبئة من خلال الإشارة إلى مخاطر مُعينة. ويقدم البعض الآخر نظرة أكثر شمولية لكيفية عمل العالم الذي يدمج إمكانية حدوث الكوارث بل ونهاية العالم. تحاول مجموعات الإنقاذ الاستعداد الآن لعالم ما بعد الكارثة. كما يقترح خبراء القانون، لحماية البيئة، منح حقوق للحيوانات، وحتى للطبيعة. لكن بالنسبة للجزء الأكبر، فإن "صناع القرار" يجدون صعوبة من أجل التعبئة، وتوحيد الإجراءات الكفيلة بالحد من تغير المناخ. ويبدو أن المجتمعات المعاصرة النهمة للمزيد من التصنيع واستغلال الثروات الطبيعية لا تعي الأذى التي تلحقه بنفسها. يتناول هذا الكتاب الجماعي العديد من الدراسات للأوضاع البيئية الحالية التي تسلط ضوءًا جديدًا على أسئلة العالم الذي يشعر بالخطر المداهم ويقف مترددا تكبله المنفعة والأنانية.

### الفينومينولوجيا وعلم النفس

المؤلف: ميشيل فوكو
الناشر: دار إيس وغاليمار وسويْ، فرنسا
سنة النشر: 2021
عدد الصفحات: 444 صفحة
اللغة الفرنسية

في أكتوبر 1954، كتب ميشيل فوكو، الذي كان آنذاك أستاذا مساعدًا في علم النفس في جامعة ليل، إلى صديقه جان بول آرون عن نص كان قد شرع بكتابته: "تحولت الأطروحة في شهرين من لا شيء إلى الصفحة 150. أنا نفسي مندهش جدًا من هذا الكتاب الفطر: ليس لنموه فحسب، الذي سيتطلب الكثير من التنقيح، ولكن أيضًا لشكله؛ لقد أخذ على الفور مظهر استجواب حول فكرة العالم في الفينومينولوجيا، مما قادني إلى تفسير كامل لهوسرل، كما لو أن الكتاب هيدغري فعلا، لكني أحسبه عكس ذلك،على أي حال، أتساءل كيف تمكنت من القيام بدور عالم نفس لعدة سنوات". المخطوطة المنشورة في هذا المجلد تتوافق بلا شك مع مشروع الأطروحة التي توقف فوكو فيما بعد عن ذكرها أو الحديث عنها، فطواها النسيان. من هذا الصمت، كما هو الحال مع بعض الملاحظات اللاحقة، تمكنا من استنتاج أن فوكو كانت لديه وجهة نظر سلبية في الغالب عن الفينومينولوجيا . ومع ذلك كان يولي أكبر قدر من الاحترام لفكر هوسرل. بالنسبة لفوكو الفيلسوف الشاب آنذاك، سمحت فينومينولوجيا هوسرل للفلسفة بتحرير نفسها من طريق علم النفس المسدود. بعد إعادة فهمها في راديكاليتها المتعالية، لم تعد الفينومينولوجيا تركز في الواقع على الذات أو الوعي، لكنها تكشف عن نطاقها الأنطولوجي المناسب من خلال توجيه نفسها بحزم نحو العالم. من خلال تفسيره لهوسرل، حدد فوكو مشروعه الفلسفي لأول مرة، الذي يربط بين الخبرة والموضوع والحقيقة واللغة. كتاب فوكو الصادر بعد وفاته يبعث أفكارا جديدة من تحت الرماد. ويطرح أكثر من قضية عن واقع الفينومينولوجيا ومآلاتها الفلسفية وعلاقتها الشائكة بعلم النفس.

# إصدارات عالمية جديدة

## اللغة الإنكليزية (محمد الشيخ)

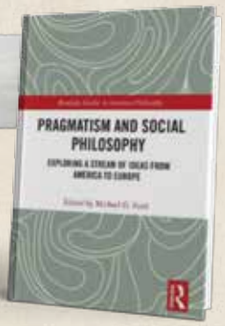


### البرجماتية والفلسفة الاجتماعية

المؤلف: مؤلف جماعي تحت إشراف مايكل فيستل
الناشر: راوتليدج
سنة النشر: 2020

يحسب البعض أن البرجماتية ـ أو الفلسفة الذرائعية ـ فلسفة محلية مقصورة على بلاد الولايات المتحدة الأمريكية، وأن تلك البلاد إنما نهضت، في جزء معتبر من أدلوجتها، على هذه الفلسفة؛ وذلك خلافا لباقي بلدان الغرب ولبلدان العالم قاطبة. ولا كما يحسب. إذ يدلل هذا الكتاب على أن الفلسفة البرجماتية (ممثلة في أهم روادها: تشارلز ساندرس بورس ووليام جيمس وجون ديوي) فلسفة تخطت الحدود القومية لكي تؤثر في تقاليد الفلسفة الأوربية؛ لا سيما منها الفلسفة الوجودية والنظرية النقدية التي قالت بها مدرسة فرانكفورت؛ وهما من بنات القرن العشرين. ويركز الكتاب في قسمه الثاني ـ الذي أراد له أصحابه أن يكون قسما خاصا، خلافا للقسم الأول العام ـ على ميدان الفلسفة الاجتماعية. ويناقش تأثير البرجماتية في موضوع من أهم مواضيع الفلسفة الاجتماعية المعاصرة: تصور الصراع الاجتماعي.

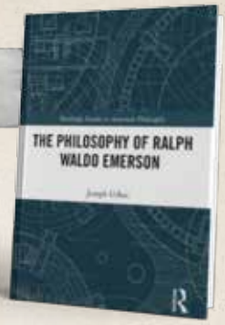


### فلسفة رالف فالدو إمرسن

المؤلف: جوزيف أورباس
دار النشر: راوتليدج
سنة النشر: 2020

يستحق الفيلسوف الأمريكي رالف فالدو إمرسن (1803-1882) أن يلتفت إليه التفاتة سخية؛ بحكم أن اسمه بدأ يلفه النسيان؛ سواء في العالم الغربي أو في العالم العربي الذي لم يترجم له ـ حسب علمي ـ أي كتاب، أستثني في هذا ولا أقطع. وهذا ما ندب نفسه للقيام به هذا الكتاب. إذ يدافع عن أطروحة أساس: وهي أنه تقوم فلسفة رالف إمرسن على تصور عام لطبيعة الواقع ـ وهو مضمار المبحث الذي يدعى في الأعراف الأكاديمية الأنجلوسكسونية باسم "الميتافيزيقا" ـ يتأسس عليه تصوره للمعرفة وللأخلاق وللجمال وللدين وللسياسة. وهذا ما حكم ترتيب هذا الكتاب؛ بحيث خصص الفصل الأول إلى نظرته إلى الواقع، وإيمانه بتماهي الذهن والواقع؛ وذلك تبعا لإحساس أخلاقي عميق متجذر في النفس البشرية. وقد نهضت الفصول الأخرى المتبقية من الكتاب بإتمام بانوراما أنظار هذا الفيلسوف المتفرعة عن هذا التصور الذي يتنزل من فلسفته منزلة القطب من الرحى؛ بحيث بدءا منه تتبدى أوجه الفيلسوف الأخرى: الشاعر والعالم والمصلح ورجل الإيمان والفضيلة.

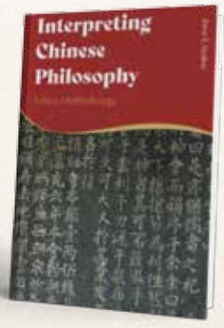


### تأويل الفلسفة الصينية (منهجية جديدة)

المؤلف: يانا روشكر
دار النشر: بلومسبوري أكاديميك
سنة النشر: 2021

تجتاح حقل التأريخ للفلسفة موجة من النزوع إلى النظرة العابرة للثقافات. ويبدو أن زمن التأريخ للفلسفة من وجهة نظر مركزية غربية بدأ يشهد على ضرب من الأفول، وأن الباحثين الغربيين وغير الغربيين على حد السواء طفقوا يبحثون عن آفاق أوسع وأرحب في النظر إلى الفلسفة العالمية. وهذا الكتاب الذي ألفته باحثة نمساوية مختصة في الصين يدخل في هذا السياق. وهي ترى أن استيعاب الفلسفة الصينية يتطلب المعرفة بالإطار المرجعي السائد في التقاليد الفكرية الصينية، وأنه ما عاد اليوم من الممكن النظر إلى نصوص الفلسفة الصينية عبر منظار النماذج الغربية. وإذ تقوم الباحثة بمراجعة لأغلب هذه التأويلات الغربية، التي تستند إلى عدسة العقلانية الغربية، تنبهنا إلى مخاطر هذه الإسقاطات التي إذ تستند هي إلى مقارنات عرجاء تنتهي إلى ادعاءات باطلة تحجب حقيقة الفلسفة الصينية. وتقترح المؤلفة منهجية جديدة في فهم الفلسفة الصينية وتأويلها بالبدل من المنهجية السائدة؛ وذلك بما يسمح بأمرين: المقاربة البين ـ ثقافية لهذه الفلسفة، والفهم الذاتي لها النابع من تقاليدها وليس من تقاليد غريبة إلى حد كبير عنها.

# إصدارات عالمية جديدة

## اللغة الإيطالية (عزالدين عناية)

### إيران في زمن بايدن

المؤلف: لوشيانا بورساتي

الناشر: منشورات كاستيل فاكي (روما) "باللغة الإيطالية".

سنة النشر: 2021

عدد الصفحات: 170 صفحة

اللغة الإيطالية

ليست قضية إيران في زمن الرئيس الأمريكي جو بايدن مسألة محصورة بواشنطن وطهران، بل هي تهمّ مستقبل الشرق الأوسط وأوروبا أيضا، ذلك ما تخلص إليه لوشيانا بورساتي في كتابها. إذ ترجّح الكاتبة إمكانية تسوية المسائل العالقة منذ فترة ترامب في عهد الرئيس الحالي، سيما وأن إيـران قد أدخلت تحويرات على توجهاتها الاستراتيجية منذ إرساء شبه تحالف اقتصادي مع الصين. كما يلقي الكتاب، من جانب آخر، الضوء على بعض المواقف الإيرانية، البعيدة عن السياسة، حول موضوع أمريكا وإيران.

### أردوغان.. تاريخ رجل وتاريخ بلد

تأليف: كريستوفورو سبيناللا

الناشر:منشورات ملتيمي (ميلانو) "باللغة الإيطالية"

سنة النشر: 2021

عدد الصفحات: 206 صفحات

اللغة الإيطالية

يحاول المؤلف تتبع السيرة الذاتية المبكرة للرئيس التركي الحالي رجب طيب أردوغان وهو صبي في حارات أسطنبول، ثم يتقفّى خطاه باتجاه العمل السياسي. في الأثناء يستعرض المؤلف العناصر المؤثرة في شخصية أردوغان لاسيما الجوانب الروحية والدينية والموقف من الغرب. فقد طبع أردوغان الحياةَ السياسية التركية المعاصرة بحركة غير معهودة وبحضور غير مألوف في الساحة الدولية. وهو ما يحاول الكتاب تفهمه من خلال عناصر السيرة الشخصية لأردوغان.

### الرحالة العرب في القرون الوسطى

المؤلف: آنّا ماريا مارتيللي

الناشر: منشورات لوني (ميلانو) "باللغة الإيطالية".

سنة النشر: 2021

عدد الصفحات: 300 صفحة

اللغة الإيطالية

الكتاب هو عبارة عن استعراض لجملة من الرحلات خاضها مجموعة من الرحالة العرب بين القرنين التاسع والثالث عشر الميلاديين. تحاول المؤلفة استحضار جملة من الأسماء في عالم الرحلة في تلك الفترة، متسائلة عما كانت تمثله الرحلة في ذلك العهد وعما تمثله لنا اليوم، بوصفها ثروة من المعلومات التاريخية والأنثروبولوجية والحضارية. ومن بين الرحالة الذين ترصد الكاتبة مساراتهم نجد ابن فضلان والمقدسي وابن جبير وابن بطوطة وآخرين. تخلص الكاتبة إلى أن تدوين الرحلة فنّ لا زال يحافظ على ألقه.